ULB Halle
3/1
001 099 329

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-5530/fragment/page=00000002

هذا كتاب البهجة السنية لشرح
القصيدة الزينبية تأليف العلامة
الفاضل والنحرير الكامل الشيخ
عبد المعطى السملاوى
رحمه الله تعالى
ونفعنا به
آمين

م

BIBLIOTHEK der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft.

Aus GILDEMEISTER'S Vermächtniss.

(شرح)
القصيدة الزينبيه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى ابتلى العاشقين بالهيام * وجعلهم حيارى سكارى بين الانام * فمنهم من اكتنفته الاسقام والآلام ولم يفز بمطلوبه حتى تصرم منه العمر أى انصرام * ومنهم من حاول المحبة حتى نحل منه الجسم ونخرت منه العظام * ومنهم من صام وقام وحرم على نفسه لذيذ المنام * حتى غاب فى مشاهدة محبوبه ففاز منه بالاكرام * والصلاة والسلام على سيدنا محمد عدد تعاقب السنين والاعوام * صلاة وسلاما دائمين متلازمين على ممر الليالى والايام * (وبعد) فيقول العبد الفقير الى عفو البارى * عبد المعطى بن سالم بن عمر ابن عمر بن أحمد السملاوى * (لما) كان المدح أرفع مقاصد الشعراء وأعلاها * وأنفسها وأغلاها * اذ هو رأس مال الشاعر الذى يعول عليه * ومقصده الذى يرجع فى التوسل للمقاصد السنية اليه * قد ملئت به الدواوين وشحنت به الدفاتر * وحفيت بكثرته الاقلام ونفدت دون نفاده المحابر * (وكانت) المقدمة المنسوبة الى الامام على بن أبى طالب أنفس المدايح والمواعظ عقدا * وأعلاها

مقاما

مقاما وأعذبها وردا * اقتضى لذلك غرضى واشارة بعض اخوانى
فى الله تعالى ان اقتضب عليها شرحا ثالثا لطيفا يحل بعض ألفاظها
ويبين معانيها * ويقرب ما بعدت تناوله من ثمار مقاصدها
المتراكبة لاقتطاف جانيها * أخذته من كتب عديدة لا قدرة
للفقير على تحصيل أصولها * كتاب كنه المراد بشرح بانت
سعاد * وكتاب زهرة الرياض * ونزهة القلوب المراض * وكتاب
حاوى قلوب الابرار * الى دار القرار * وشرح لامية العجم * وكتاب
فتح البارى على البخارى * وشرح العشماوية * وشرح الجوهرة
للشيخ عبد السلام * والقول المختصر * فى علامات المهدى المنتظر *
وتهذيب الاسماء واللغات * وشرح المناوى الكبير * وكتاب
الطبقات للمناوى * وكتاب مختصر التذكرة للشعرانى * وفتاوى
الرملى * وفتاوى ابن حجر * والدر المنضود فى الصلاة والسلام على
صاحب المقام المحمود * وكتاب اسنى المطالب * والتحفة السنية *
وكتاب فضيلة الكلاب على كثير ممن لبس الثياب * والجلالين *
وشرح الجوهرة الكبير * والقاموس * والفتح المبين * ومختصر
الزواجر * وشرح الاربعين للنووى * وأنس المنقطعين *
والاقناع للخطيب الشربينى * والمصباح * وسهام الاصابة
ومختصر الغزالى * وتائية السبكى * وحياة الحيوان * والصواعق
والنعمة الكبرى * والتفاحة الوردية * وتذكرة الطالب *
وغير ذلك من كتب جليلة يطول ذكرها (وسميته) البهجة
السنية * بشرح القصيدة الزينبية * أسأل الله أن ينفع به كما

نفع بامموله انه جواد كريم رؤف رحيم * (وتأمل) أيها الواقف عليه * ان كان صوابا فلا تعدل عنه وارجع اليه * وان كان خطأ فاعذر وارخ أذيال سترك عليه فانها خطرة على البحل * والقلب متقلب فى عوائقه وهو على وجل * خصوصا أنا أبو عذرتها وأول من ركب عنانها * وفض ختامها * والعفو من شيم الرجال * والسخط وظيفة الانذال * وهذا أوان الشروع فى المقصود فأقول مستعينا بذكر الملك المعبود * (اعلم) أنه كان من عادة أكثر شعراء العرب أنهم اذا أتوا بقصيدة مدح افتتحوها بالتشبب وهو المعبر عنه بالغزل وهو عند المحققين من أهل الادب يشتمل على أربعة أنواع (النوع الاول) ذكر ما فى المحب من الصفات التى هى أسباب المحبة الدالة على المحبة كالشغف والنحول والذبول والحزن والارق ونحو ذلك (النوع الثانى) ذكر ما فى المحبوب من الصفات التى هى أسباب المحبة سواء كانت حسية كحمرة الخد ورشاقة القد وما فى معناهما أو معنوية كالملاحة والخفر وما أشبه ذلك ويسمى هذا النوع من التشبب نسيبا أيضا (النوع الثالث) ذكر ما يتعلق بالمحب والمحبوب من هجر وصد ووصل وسلو واعتذار ووفاء واختلاف ونحو ذلك (النوع الرابع) ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما من الوشاة والرقباء ونحوهما وقد أتى المصنف ببعض ذلك فى قصيدته وقد جرت أيضا عادة من تغزل من العرب فى شئ ان يخاطب نفسه وهذا تسميه أهل المعانى والبيان التجريد وهو أن يجرد الانسان من نفسه شخصا ويوجه اليه الخطاب كما فى قول

الاعشى مخاطبا نفسه

ودّع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وتبعهم المؤلف مخاطبا نفسه فقال

صرمت حبالك بعد وصلك زينب * والدهر فيه تصرم وتقلب

اعلم أن هذه القصيدة من بحر الكامل وانّ قافيتها تسمى متداركا والقافية هى المتحركة مع الساكنين الاخيرين من البيت وهى على خمسة أنواع مترادف ومتدارك ومتراكب ومتواتر ومتكاوس وقد بسطنا الكلام عليها فى الشرح الكبير والوسط وقوله صرمت حبالك أى قطعت مواصلتك وفارقتك ولا شك أن فراق الاحبة من أشدّ الآلام وأعظم الاحزان قال بعضهم ان تأجيج نار المحبة بلابل الشوق انما يعظم ويشتدّ عند حصول الفراق وناهيك ما اخبر الله تعالى به عن يعقوب عليه الصلاة والسلام فى فراقه ليوسف بقوله تعالى فتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قيل ما غفت عين يعقوب عليه الصلاة والسلام من حين فراقه يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما والله در القائل

انى لاكره ان أنام فالتقى * بك فى الكرى خوف الفراق الثانى

ومن المعانى المستحسنة ما قيل ان الشمس تحمر عند الطلوع لمعنى اللقاء وتصفر عند الغروب لمعنى الفراق والى ذلك يشير أبو العباس الضبى بقوله

لا تركنن الى الفراق * فانه مرّ المذاق

فالشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق

ومن كلام بعضهم ما خلق الله الفراق * الا لتعذيب العشاق *
وكان يقال حق الفراق أن تطير له القلوب وتطيش معه العقول
وتطيح معه النفوس وتجمر الفضا أهون تبريحا من نار الفراق وما
أحلى قول الطغرائى حيث يقول

انى لاذكركم وقد بلغ الظما * منى فاشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتى عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(تنبيه) اذا استولى الحب على المحبين غلب عليهم العشق وعراهم
السهر وتقليل الطعام والشراب واستولى عليهم الفكر والوسواس
والسقم والضنا بل ربما يؤدى بهم الى الموت والهلاك وأنشدت
بعض الجوارى تقول

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتنى * فما لى أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

ولله در شرف الدين ابن الفارض حيث يقول

وعش سالما فالحب راحته عنا * فأوله سقم وآخره قتل

وقال بعضهم قد ينتهى الحب الى الوله والهيام بحيث يختل عقل
صاحبه ويصير كالمجنون المائم على وجهه وهذا موافق لما يقوله
الاطباء من أن العشق نوع من المالنخوليا والى ذلك يشير القائل
بقوله

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى حين

وقد ينتهى الحال الى التتيم وهو الاسر والرق والذل وذلك ان

المحب اذا تعلق قلبه بالمحبوب واشتغل خاطره به صار قلبه فى يد محبوبه يتصرف فيه كيف شاء فأشبه الاسير المقيد فى يد من أسره والى ذلك يشير المستعين بالله بن الحكم الاموى أحد خلفاء الاندلس حيث يقول

عجبا يهاب الليث حد سنانى * وأهاب لحظ فواتر الاجفان
وأقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسى ثلاث كالدما * زهر النجوم نواعم الابدان
حاكمت فيهن السلو الى الضنا * فقضى لسلطان على سلطان
فابحن من قلبى الحماو تركننى * فى عز ملكى كالاسير العانى

وقد قال الجنيد رضى الله عنه العشق آلة رحمانية والهام شوقى أوجبهما كرم الله تعالى على كل ذى روح لتحصل اللذة العظمى التى لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وما أحسن قول القائل

ومن عجبى انى جريح وكلما * رمتنى بسهم بعد سهم يلذلى

وقال اعرابى العشق نبت بذره النظر وماؤه المراودة وثماره الوصل وحصاده التجنى وقال بعضهم العشق محبة مفرطة وهو أخص من المحبة لان كل عشق محبة من غير عكس وقول المؤلف زينب هو علم على امرأة (فان قلت) يمتنع التغزل اذا كان بشخص معين أو امرأة أجنبية معينة (قلت) ليس فى كلامه امرأة معينة بل جرى على أكثر عادة الشعراء فلا منع فيه وقوله والدهر فيه تصرم وفى نسخة تصرف وتقلب فيه تسلية عن حب زينب حيث لم يصل لمقصوده من اساءتها المعاشرة معه مثلا اذ لو كان الانسان

فى غاية الحسن والجمال وهو سيء المعاشرة وقليل الموافاة لجته النفوس ونفرت عنه القلوب وجفته الاصدقاء ورفضته الاصحاب بل حسن السيرة يقدم على حسن الصورة لانه أفضل منه لعدم زوال أثره بخلاف حسن الصورة لانه ربما يؤدى بصاحبه الى الوقوع فى المحن والبلاء ألا ترى أن حسن الصورة أدى بيوسف عليه السلام الى السجن وحسن السيرة أوجب له الخروج وأجلسه على سرير الملك ولما كانت زينب أساءت العشرة وقلت الموافاة ونفرت منه وولع بها فلم يحل عن مودتها بل لم يزدد فيها الا هياما كما أشار اليه فى قوله الآتى نشرت ذوائبها تمثل بعضهم به ولله در القائل فى المعنى

العقل عقيلة الرجال * والحب محال العقال

(العقل يقول لا تبالغ * والحب يقول لا تبال) وقد هلك كثير من المتيمين فى عشق من أحبوه صبرا على الوصال أو تقديما للمروءة على الشهوة فقد قيل لرجل من بنى عذرة مابال الرجل منكم يموت فى هوى امرأة قال لان فينا جمالا وعفة وقال بعضهم ما نكح الحب الافسد ولله در القائل حيث يقول

أنزه فى روض المحاسن مقلتى * وأمنع نفسى ان تنال محرما

ولذلك نص العلماء على ان الميت عشقا معدود من الشهداء كالمبطون والمطعون والغريق محتجين بما قاله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد والى هذا المعنى يشير أبو القاسم القشيرى بقوله

ان المحب اذا تو فى صابرا * كانت منازله مع الشهداء

وفى قوله

وفى قوله تصرم يقال تصرم الدهر أى تغير أهله من حال الى حال وقد أرخينا العنان فى هذا المقام فى الشرح الكبير والوسط فمن أراد المراجعة فعليه بذلك ثم أشار المؤلف الى ما يستحسن من المرأة من سواد شعرها بقوله

(نشرت ذوائبها التى تزهو بها * سودا ورأسك كالثغامة أشيب)

(اعلم) ان المحبة تحصل بمعاينة ذات المحبوب أو صفته أو سماعه كما هنا * قال بعضهم ان سبب المحبة ثلاثة أشياء رؤية صورة او سماع نغمة أو سماع صفة وكان أعظم ذلك رؤية الذات وأعظمها سواد الشعر لان له تأثيرا جاذبا فى المحبة ويليه سماع النغمة ويليه سماع الصفة (فقد حكى) ان أبا تمام الطائى سمع جارية تغنى بالفارسية فشجاه صوتها ولم يفهم كلامها فأنشد وهو يقول هذه الابيات

فلم أفهم معانيها ولكن * شجت قلبى فلم أحمل شجاها
فكنت كانثنى أعمى معنى * بحب الغانيات ولا أراها

وقال العسكرى فى كتابه الاوائل وأمر الصوت عجيب منه ما يقتل كصوت الصاعقة ومنه ما يسر ويهيج حتى يرقص ويقلق ومنه ما يزيل العقل ويورث الغشى وبه ينومون الصبيان وبه تستخرج الحية من جحرها وأهل الصناعات اذا خافوا الملال ترغموا وتسقى الدواب بالصفير وتصغى باذانها اذا غنا لها المكارى وتزيد الابل فى مشيها اذا حدى لها الحادى وغير ذلك مما يطول ذكره وأعظم من ذلك سواد العيون خلقة وكسر الجفون وان عدل عن ذلك المؤلف وهو مما يزيد فى الحسن والجمال اذ النفوس تميل الى ذلك فى الغالب

وترغب اليه ولم تزل الشعراء فى القديم والحديث تتغزل فى ذلك وقد قيل أغزل بيت قالته العرب قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لا تحيين قتلانا

تصرعن ذا اللب حتى لا حراك له * والعين أضعف خلق الله أركانا

وقوله

تغار الشمس منها حين تبدوا * كغصن البان فى خضر البرود

بأطراف من الحناء حمر * وألحاظ كبيض الهندسود

وقال بعضهم

ولما تلاقينا على سفح رامة * وجدت بنان العامرية أحمرا

فقلت خضبت الكف يوم فراقنا * فقالت معاذ الله ذلك ما جرى

ولكننا لما تناءينا النوى * بكيت دما حتى بللت به الثرى

مسحت بأطراف البنان مدامعى * فكان خضابا فى اليدين كما ترى

قال بعضهم الكحل وهو سواد العين خلقة أكمل من الحسن فى الفتور فى الجفون وأعلى رتبة فى الجمال وأشد تأثيرا فى القلوب والى ذلك أشار أبو اسحاق الغزى بقوله

راش الفتور له سهما فأخطأه * حتى اتيح له سهم من الكحل

وقد يزيد الكحل على التكحل بالاثمد وغيره حسنا ولله در القائل

زادت على كحل العيون تكحلا * ايسم نصل السيف وهو قتول

(وأما العشق) على الصفة فان له تأثيرا عظيما وقد عشق بعضهم كثيرا على الصفة ولله در شاب حيث قال

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين احيانا

قالوا

قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفى القلب ما كانا

(وأما العشق) على النظر فقد قال بعض الحكماء المرأة تمر على الرجل فتحرك نفسه بمجرد النظر اليها فان كرر النظر اليها ازداد حبه فيها فان جلس حتى يراها كان الذى به أضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بها وصار فى جملة العاشقين وقد قيل من أطلق ناظره أتعب خاطره * ومن كثرت لحظاته * دامت حسراته ولله در القائل

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

(تنبيه) ينبغى للمحب أن يصبر على هجر محبوبه ولا يظهر الشكوى وان أدّى ذلك الى غاية المشقة وان يرى هجر محبوبه ألذ من المن والسلوى فقد قال السيد الشريف الشيخ عبد العزيز المنوفى

اذا كان قلب المرء بيت حبيبه

فقد أسس البنيان بالزهد والتقوى

وقد صح فى شرع المحبين أنه

اذا مات من شوق فلا يظهر الشكوى

وان قال انى مسنى الضر انه

على كل حال فى الحقيقة ذو دعوى

وما الحب الا ان يرى ما أصابه

ألذ من المن المنزل والسلوى

وان نفحته نفحة أحدية

فالسوى المحبوب فى قلبه مأوى
نعوذ برب الناس من كل آفة
ومن صحبة الاغيار فى السر والنجوى
ونسأله ان لا يكلنا اليهم
فان الغنى عنهم هو الغاية القصوى

وقول المصنف نشرت ذوائبها الذوائب من الشعر قاله الجوهرى وقوله تزهو اتجب وتفتخر وقوله سودا بضم أوله جمع أسود وهو اللون المعروف والمعنى أسود كالليل الحالك وهو أعظم وقوله ورأسك كالثغامة اشيب أى شعر رأسك أبيض كالثغامة وهو نبت أبيض كما هو مذكور فى القاموس (تنبيه) لم يذكر المؤلف من المحاسن الا سواد الشعر فقط ولا شك انه يحصل به تعلق القلب اكثر من غيره مما تشتمل عليه محاسن المرأة من دقة سنها وخصرها وأنفها وبنانها ومن غلظ ساقها ومعصمها وعجيزتها ومن سعة جبينها وجبهتها وعينها وصدرها ومن ضيق فمها ومنخرها ومنقذ أذنها ومن تناسب أطرافها وقامتها وطول شعرها وعنقها ومن بياض سنها وذلك أى الاخير مما يستحسن فى الانسان وتتطلع اليه النفوس وتتبعث اليه الخواطر ولله در القائل

(روحى فداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب)
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فشبه ثغرها باللؤلؤ الرطب لشدة بياضه ونقائه وذلك حاصل فى ايام الصغر لان الانسان كلما طعن فى الكبر تغير لون اسنانه عن البياض

الى

الى الصفرة او الخضرة من ترك تعهده بالسواك كما نص عليه العلماء وقد روى ان بعض السلف رأى امرأته وهى تخلل اسنانها فطلقها فسألته عن ذلك فقال ان كان شئ بقى من فضلة عشاك بين أسنانك فأنت قذرة وان كان عن غذاء استعجلتيه ليومك فأنت شرهة وكانت صالحة فقالت انما ذلك لفتاتة من السواك تخللت أسنانى فساءه ذلك وفى هذا دليل على شدة الاعتناء بالسواك لازالة القذر

(تنبيه ثان) ينبغى للمحب ان يصبر على كيد الحاسدين والواشين فيما يقولونه فى محبوبه وابعاده عنه وصده لان هذا ابتلى به كثير من المحبين فيمن يحبونه فقل ان يظفر الانسان بمن يحبه الا حسد عليه وتطرقت عيون الوشاة اليه فاستمالوه عنه وصرفوا نظره عن رؤية محاسنه وان كان الصادق فى المحبة لا يغيره على من يحبه اعراض ولا يصرف قلبه عن محبته صدود ومادام الناس قديما وحديثا يذمون الوشاة ويحذرون منهم ويقرنونهم بالذم بالعاذل والرقيب ولله در القائل فى المعنى

عندى لكم يوم التواصل دعوة * يامعشر الجلساء والندماء
أشوى قلوب الحاسدين بها والسـ ـنة الوشاة واعين الرقباء

ولما وصل الى مطلوبه واستأنس بمحبوبه أنشأ يقول متمثلا بقول أبى نواس

ومهفهف يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء
حركته بيدى وقلت له انتبه * يافرحة اللحظاء والندماء
فأجابنى والسكر يخفض صوته * بتلجلج كتلجلج الغفاء

انى لافهم ماتقول وانما * غلبت على سلافة الصهبائ
دعنى أفيق من الخمول الى غد * واحكم بما ترضاه يامولاء
(واستنفرت لما رأتك وطالما * كانت تحن الى لقاك وترغب)
قوله واستنفرت الى آخره أى استصعبت وشردت واشمأزت منك حين رأتك هرما ذا شيب كبير السن دقيق العظم ونحو ذلك مما تكرهه النفس وينفر منه الطبع غالبا (فقد حكى) انه كان لابى مسلم الخولانى رضى الله عنه جارية حسناء وكانت تسقيه السم لبغضها اياه وكان لا يعمل فيه فلما طال ذلك قالت له الجارية الى كم أسقيك السم ولا يعمل فيك قال لماذا قالت لانك صرت شيخا فأعتقها ثم قال انى كنت أقول عند الاكل والشرب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تحن الى لقاك وترغب أى تحن اليك وترغب فيك وأنت فى حال الصحة والشباب (تنبيه) جرت العادة غالبا ان المحبوب يبغض المحب مطلقا سواء كان فى حال القوة أو الهرم وهذا هو الداء العضال الذى يعسر علاجه ويشق برؤه ولاهل المحبة فيه التحمل والصبر والمخالطة والخداع لعل المحبوب يرق ويعطف كما قيل
تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تغفر الذنب فى الهوى * تفارق من تهوى وأنفك راغم
(تنبيه ثان) قد يتغزل المحب بالمحبوب ويشتغل به حتى يكتفى برؤيته وزيارة طيفه نوما عند عدم موافاته له وليس تحته طايل قال بعضهم أما الحلم بالمحبوب وزيارة طيفه فى المنام فانه المحال المحائل والوصل الذى ليس تحته طائل ولله در القائل

وزارنى

وزارنى طيف من أهوى على حذر
من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا
وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيل لى
نيل المنا فاستحالت غبطتى أسفا

لكن بعض المحبين يأنس بالخيال ويتسلى به كما قاله البحترى

اذا ما الكرى أهدى الى خيالها * شفى علة التبريح لو نفع الصدّا
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا * نعذب ايقاظا وننعم هجدا

بل بالغ التهامى حتى فضله على اليقظة فقال

وصل الخيال ووصل الجود ان بخلت
سيان ما أشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا ان لذته
تخلو عن الاثم والتنغيص والعدم

(تنبيه ثالث) قد يعد المحبوب المحب ويمطله وقد اختلف المحبون فى ذلك على مذاهب كما قاله ابن سنا الملك يخاطب محبوبه على عدم موافاته له

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم

وقال ابن نباتة فى مليح ساق واعده وأمطله

سقى وواعدنى وصلا ألذ به * عند المنام فلا والله ما وصلا
فيا لها من مواعيد يقال لها * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وقوم يستعذبون المطل ويستحلون كواذب الامانى ويتسلون به عن الوصل كما قال الشيخ شرف الدين ابن الفارض رحمه الله تعالى

عدينى بوصل وامطلى بنجازه
فعندى اذا صح الهوى حسن المطل

وآخرون يرون ان الوعد والامانى سبب الحياة عند فوات الوصل كما قال العفيف اسحاق

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت ياأهل هذا الحى فى زمنى

وكل ذلك باختلاف رتب المحبين فى القرب والبعد والقوة والضعف (تنبيه رابع) اذا تحقق المحب هلاك نفسه ان لم يقبل المحبوب هل يباح له تقبيله أم لا (والجواب) نعم بشروطه كما قاله الحافظ ابن حجر حين سئل

ماذا يقول امام العصر فى دنف
أضحى قتيل الهوى من اسهم المقل
فهل يجوز له احياء مهجته
من ثغر محبوبه بالرشف والقبل
وهل يجوز له يوما يعانقه
ويشتفى القلب فى قول وفى عمل
فهذه قصتى فى شرحها عجب
فاسمح بردّ جواب يامنى أملى

(فأجاب)

ان صح دعواه فى اتلاف مهجته * وان رشف اللمى يبرى من العلل

فليرشفن

فليرشفن رضاب الثغر محتسبا
وليقطفن بغيه وردة الخجل
فذاك فى ملة الاسلام أيسر من
قتل امرئ مؤمن بالله فى الازل

(وقال غيره)

ماذا تقول السادة أهل العلا * فى رجل يعشقه قد ابتلا
وكان قد آلى على نفسه * لا يشرب الصهباء الا على
ورد أغصان قامة ميس * وما عليه ان رخص أو غلا
فالآن لا ورد ولا وقته * ولا له صبر بأن يمهلا
فافتوا الذى قد جاء يا سيدى * فانه قد جاء مستعجلا

(فأجاب)

ان كان عز الورد يا سيدى * فكن لورد الخد مستقبلا
واشرب مع المحبوب فى روضة * وامزج من الخمر طوم ما قد حلا
هذا جوابى اليك يا سائلا * يا ذا الذى قد جاء مستعجلا

(وقال آخر)

ما قولك يا فقيه فى * فتواك عجل بكلام
من بات معانقا لمن * يهواه فى جنح ظلام
هل يفطر عند ما * يقبل فاه أو صام تمام

(فأجاب)

يا سائل الفقيه عن * فتواه الشرع فسيح
أصغ لكلامنا وخذ * معناه فالقول صحيح

من بات معانقا لمن * يهواه ان كان مليح
لا يفطر عند ما يقبـ * ـل فاه والصوم صحيح

ثم أشار المؤلف الى ذكر الغانيات وقطع وصلهن أيضا فقال

(وكذاك وصل الغانيات لانه * آل ببلقعة وبرق خلب)

قوله وكذاك وصل الغانيات الخ عطف على قوله صرمت حبالك ويصح أن تكون جملة استئنافية والغانيات جمع غانية حرة كانت أو رقيقة وهى المرأة اللطيفة الذات البديعة الصفات البارعة فى اللطف والجمال الكاملة فى الحسن والكمال وقوله لانه آل أى سراب بالمدّ والتخفيف أى لانّ وصل الغانيات كسراب قال فى الجلالين عند قوله تعالى كسراب بقيعة جمع قاع أى فلاة وهو شعاع يرى فيها نصف النهار فى شدّة الحرّ يشبه الماء الجارى وقوله ببلقعة أى أرض قفراء وقوله وبرق خلب قال فى القاموس والبرق الخلب وبرق الخلب وبرق خلب المطمع المخلف انتهى وفى المختار والبرق الخلب والسحاب الخلب الذى لا مطر فيه كانه خادع ومنه قيل لمن يعد ولا ينجز انما أنت كبرق خلب ويقال أيضا برق خلب بالاضافة انتهى (تنبيه) كما تمنع المحبوب اشتعل المحب شغفا حتى لا يدرى ما يقول وما يفعل مع محبوبه وقد أشار الى ذلك القاضى عبد الوهاب المالكى بقوله

ونائمة قبلتها فتنبهت
وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحدّ
فقلت لها انى فديتك غاصب

وما حكموا فى غاصب بسوى الردّ
خـــــذيها وكفى عن ظلامة آثم
فان أنت لم ترضى فالفاء على العدّ
فقالت قصاصا يشهد العقل انه
على كبد الجانى ألذ من الشهد
فباتت يمينى وهى عقد لخصرها
وباتت يسارى وهى واسطة العقد
فقالت ألم أخبر بأنك زاهـــــد
فقلت لها مازلت أزهد فى الزهد

(وقال غيره)

فى خدّ من همت به شامة * فالند فى نفحته ندها
والعنبر الرطب غداة ائلا * لاتدعنى الا بيا عبدها

(ومن كلام ابن رفاعة مكتفيا مقتبسا)

خيال ظبى قد سرى * لكهف قلبى المحتذى
ناديته لما سبا * قلبى فسبحان الذى

(وقال آخر)

اذا زار من أهوى وأنجز موعدى
تلوت معيذا والذى جاء بالصدق
وان صدّ عنى معرضا فاشقوتى
أقول وجاءت سكرة الموت بالحق

(وقال الغيروانى مضمنا للمثل السائر)

مالت معاطفها سكرا على دنف * كانها من رحيق الثغر قد سكرت
حيث فأحيت قتيل الحى حين دنت
له وغابت فقال الصب قد حضرت

وقال البساطى (حكى) ان ثلاثة من الشعراء اجتازوا بحائط فوجدوا عليه بيت شعر مكتوبا وهو هذا البيت

الا أيها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فقالوا لا نترك هذا البيت وحيدا بل يجيبه كل منا ببيت فقال أحدهم

يدارى هواه ثم يكتم وجده * ويصبر فى كل الامور ويخضع

(وقال الآخر)

وكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل وقت روحه تتقطع

(وقال الآخر)

اذا لم يجد صبرا على ما يصيبه * فليس له عندى سوى الموت انفع

قال بعضهم مر الاصمعى فوجد شابا لا نبات له بعارضيه ميتا وهو حاضن للحجر الذى مكتوب عليه هذه الابيات ووجد تحته مكتوبا

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع
سلامى على أهل النعيم نعيمها * وللعاشق المسكين ما يتوجع

ثم أشار المؤلف الى ترك ما كان متلبسا به حال صغره من التغزل فى حب زينب والغانيات حيث لم يصل الى مقصوده بقوله

(فدع الصبا فلقد عراك زمانه * واجهد فعمرك من منه الاطيب)

قوله فدع الصبا الخ أى اترك زمانه واستعد لما فانك فيه من الخيرات ولازم على فعل الطاعات فانك غرض بين النفس والهوى

والشيطان كما ورد في الخبر وتأس بأفعال أولياء الله الصالحين فقد
قيل أن أبا بكر الكتاني ختم اثنى عشر ألف ختمة في الطواف وقيل لما
حبس منصور الحلاج وقيد من كعبه الى ركبتيه ثلاثة عشر قيدا كان
يصلي مع ذلك في كل يوم وليلة ألف ركعة وقيل كان ابن عطاء سنين
كثيرة يختم في كل يوم ختمة وفي شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث
ختمات وقيل أقام أبو عمر الزجاجي بمكة أربعين سنة لم يبل ولم
يتغوط في الحرم وكان يخرج في كل يوم لعمرة خارج الحرم فيتطهر ويعتمر
كل يوم ثلاث عمرات وكان يأكل في كل ثلاثة أيام أكلة واحدة
ومات عن نيف وسبعين وقفا وقيل صلى حبشي بن داود صلاة
الغداة أربعين سنة على طهر العشاء فينبغي لمن ضيع صالح أوقاته
التأسي بهؤلاء من كلام البلغاء المؤمن على دينه فتاش والهوى
مطية الفتنة وينبغي له ان يلازم على سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد قال عليه الصلاة والسلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يدخل العبد
الجنة بالسنة اذا تمسك بها وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد وعن
أنس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيى سنتي فقد
أحبني ومن أحبني كان معي وقال النبي صلى الله عليه وسلم من
أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله وقال النبي صلى
الله عليه وسلم كل عمل لا يعمل بسنتي فهو معصية عند الله فعليك أيها
الواقف على هذه القصيدة بتحقيق هذه الاحاديث من صحة وضعف

فانى وجدتها فى كتاب مقطوع النسبة عن صاحبه انتهى وقد قال المؤلف رحمه الله تعالى

(ذهب الشباب فما له من عودة * وأتى المشيب فأين منه المهرب)

قوله ذهب الشباب الخ أى مضى وقته واستحال عوده وأتى المشيب وهو بياض الشعر وانتشاره فى الجسد كانتشار شعاع النار فى الحطب وكنى به واعظا لما قيل انه رسول الموت وقال الشعرانى اعلموا أيها الاخوان فما بعد الشيب من عذر وقال القاضى الناصر فى المعنى معتذرا

* أما المشيب فانه قد أبرقا * وكأننى بسحابه قد أغرقا
كان الهوى خل الصبا وصديقه * حتى تلى شيبى وان يتفرقا

قال بعضهم يكره نتف الشيب لانه نور الاسلام ولانه يخالف بدله حالا وقد أنشد بعضهم بقوله

وزائرة للشيب لاحت بمفرقى
فبادرتها بالنتف خوفا من الحتف
فقالت على ضعفى استطلت وانما
رويدك حتى يلحق الجيش من خلفى

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة وفى رواية لابى داود ما من مسلم يشيب شيبة الا كان له نورا يوم القيامة فيكره نتف الشيب لذلك ولانه وقار لما روا مالك أن أول من رأى الشيب ابراهيم فقال يارب ما هذا قال وقار قال زدنى وقارا انتهى

والله

والله أعلم وقد أوردنا ما فيه مطمع فى الشرح الوسط والكبير فمن أراد المراجعة فعليه بذلك قال المؤلف

ضيف ألم اليك لم تبهج به * فترى له أسفا ودمعا يسكب

قوله ضيف الخ أى شيب حل عندك ان لم تعتبره وتكرمه بالطاعات والا ترى له أسفا ودمعا يسكب لفراقه لعدم اعتنائك به (تنبيه) نزل المؤلف الشيب منزلة الضيف لقصر اقامة مدته وكأنه يقول ينبغى لمن نزل عنده ضيف ان يعتنى بأكرامه كما هو معلوم عادة عند غالب الناس اذا علمت هذا ينبغى لك اذا نزل عندك الشيب ان تتغط به ولا تتكل على صالح عملك بل على محض فضل الله تعالى فقد حكى عن برصيصا العابد انه كان له ستون ألفا من التلامذة وكانوا يمشون فى الهواء ببركته وعبد الله تعالى حتى تعجبت الملائكة من عبادته ثم مات كافرا ولم ينفعه عمله (وحكى) عن احد الاخوين الذى عبد الله أربعين سنة ثم نزل من أعلى الدار الى أسفلها على نية المعصية وله أخ مسرف عقد التوبة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله وعلى نية الطاعة ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فسقط على أخيه فوقعا ميتين فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصى على نية التوبة والطاعة فينبغى للعبد ان يحسن نيته (فقد حكى) عن ابليس انه عبد الله كثيرا فى السموات والارض ولم تنفعه طاعته كما هو معلوم (وحكى) عن يحيى بن أكثم أنه رأى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وقال ياشيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا فقلت يارب ما بهذا حدثت عنك فقال فبماذا

حدثت عني يا يحيى فقلت حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك سبحانك وتعاليت انك قلت اني لاستحي أن أعذب شيبة شابت في الاسلام فقال صدقت وصدق معمر وصدق الزهري وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل وقد غفرت لك انتهى فعلم من هذا انه لم ينفعه كامل عمله بل بعضه بمحض فضله سبحانه وتعالى ثم أشار المؤلف بالتلويح الى الامر بالنصائح فقال

(دع عنك ما قدفات في زمن الصبا

واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب)

قوله دع عنك الخ أي اترك ما كنت متلبسا به حال صباك بكسر الصاد وهو صغرك من اللهو واللعب والهوى ونحو ذلك مما لا طائل تحته فمن كلام البلغاء من علم انه يموت فلا يندم على ما يفوت ومن كلامهم من علم انه يموت فليحسن ولا يسيء شعر

أسأت الي فاستوحشت مني * ولو احسنت آنست الجميل

ستحمدني اذا جربت غيري * وتعلم انني نعم الخليل

وقوله واذكر ذنوبك أي أيها الشخص وابكها أي ابك على ما فرطت في ذلك من ارتكاب الصغائر والكبائر ونحوها (تنبيه) ينبغي للانسان أن ينتبه من غفلته وأن يسأل الله غفران حوبته وان يندم على ما مضى كما وقع ذلك للامام الزمخشري معتذرا بقوله

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل

ويرى نياط عروقها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل

ويرى خرير الدم فى أعضائها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى ويعلم مايراه دونها * فى قاع بحر عامق متجندل
ويرى سرائر ذرة مع نملة * وضعيفها وقويها والمبتلى
انى سألتك بالنبى محمد * وبما تلاه من الكتاب المنزل
أمنن على بتوبة يحيى بها * ماكان منى فى الزمان الاول

(تنبيه) يجب على الشخص أن يتوب من ذنوبه فورا لئلا تخترمه المنية بغتة كما قال بعضهم فى المعنى

بادر الى التوبة الخلصا مجتهدا * فالموت ويحك كم يمدد اليك يدا
فانما المرء فى الدنيا على خطر * ان لم يكن ميتا فى اليوم مات غدا

ثم اعلم ان التوبة تغفر سائر الذنوب اذا انضم اليها رد المظالم ونحوها قال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم وقال تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا أى رجع الى الله رجوعا فيجازيه خيرا (تنبيه ثان) قد لا يتوقف غفران بعض الذنوب على توبة فقد ورد فى الحديث من استفتح أول نهاره بخير وختمه بخير قال الله للملائكته يعنى الحافظين الموكلين به لا تكتبوا عليه ما بين ذلك من الذنوب يعنى الصغائر كما يقاس النظائر ويحتمل التعميم وفضل الله عظيم انتهى ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

(واخشى مناقشة الحساب لانه * لابد يحصى ماجنيت ويكتب)

قوله واخش مناقشة الحساب أى حساب ما جنيته فى عمرك من قليل وكثير من الاقوال والافعال فى يوم عظيم يشيب من هوله نواصى الاطفال وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد أى يوم القيامة وقال الشعرانى رحمه الله تعالى كان ابن مسعود يقول تزدحم الاقدام يوم القيامة كازدحام الشباب فى الجعبة والسعيد من يجد لقدمه موضعا يوم القيامة يضعه عليه واعلم أنه يشتد الجزع عند الوقوف وعند اخراج بعث النار لانه يخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق ويشتد الخوف اذا دعى الخلائق الى الميزان وتكاد عقولهم تطير من الخوف وتتزاحم الخلائق بعضها على بعض حتى يكون على القدم ألف قدم ويخوض الناس فى العرق وفى الحديث لو أرسلت السفن فى عرق الخلائق فى ذلك اليوم لجرت وغير ذلك من الاهوال العظيمة فينبغى لك أن تتيقظ من سنة الغفلات خصوصا من اقتباس التبعات وتراقب التوبة فيما مضى وما هو آت فقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لان يلقى العبد ربه بسبعين ذنبا أهون عليه من أن يلقى الله بذنب واحد فيما بينه وبين الناس يعنى التبعات وكان أحمد بن حرب التابعى الجليل يقول تبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق فرقة أغنياء بالاعمال الصالحة وفرقة فقراء من الاعمال الصالحة وفرقة أغنياء ثم يصيرون مفلسين من جهة تبعات الخلائق انتهى وقد أرخينا العنان فيما يتعلق بهذا

فى

فى الشرح الوسط ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

(والليل فاعلم والنهار كلاهما * أنفاسنا بهما تعدّ وتحسب)

قوله والليل فاعلم الخ أى اعلم أيها الواقف على هذا ان أنفاسنا معشر بنى آدم تحسب علينا ليلا ونهارا واحدا بعد واحد ما ندرى بذلك ومثل ذلك الجنّ لان الانس والجن محل الجزاء دون الملائكة والحيوانات والطيور والانفاس كثيرة فقد قال ابن حجران من جملة الانفاس فى اليوم والليلة أربعة وعشرين ألفا وكل منها يقتضى شكرين مستقلين اذ لو لم يخرج النفس من صاحبه لهلك ولو لم يدخل لهلك فاتق الله فى ذلك والله أعلم * وقول المؤلف أنفاسنا مثله أفعالنا أيضا بل هى أولى بالعدّ علينا (موعظة) قال الشعرانى بلغنا أن شخصا تاجرا وقفت عليه امرأة تشترى لها ازارا فكلمته فتحرّكت بشرته عليها فرأى فى منامه أن القيامة قد قامت وسأله الله عن ذلك فانتبه فسقط لحم وجهه من الحياء ثم قال المؤلف

(لم ينسه الملكان حين نسيته * بل أثبتاه وأنت لاه تلعب)

قوله لم ينسه الملكان أى لم ينسيا ما جنيته وما تنفسته من الانفاس التى تنفستها فى الليل والنهار حين نسيتها ولم تتذكرها بل كتباها عليك وهما ملك اليمين وملك اليسار لكتبهما معظم الاعمال وانت لاه تلعب لم يتركا لك منها واحدا قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال الجلال المحلى رقيب حافظ عتيد حاضر وكل منهما بمعنى المثنى انتهى وقال تعالى وان عليكم لحافظين من الملائكة لاعمالكم كراما على الله كاتبين لها يعلمون ما تفعلون جميعه انتهى

محلى وقال تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد قال الحسن ومجاهد
وقتادة هما ملكان أحدهما عن اليمين يكتب الحسنات والآخر
عن الشمال يكتب السيئات وقال مجاهد أيضا ملكان بالليل
وملكان بالنهار وعن أبي امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم كاتب
الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وقال الحسن
والضحاك مجلسهما تحت الشفتين على الحنك وكان الحسن يجبه أن
يتطف عنه فقته وقعيد أي ملازم ثابت وليس المراد به ضد القائم
وظاهره أنهما لا يفارقانه وذكر الحسن أنهما يفارقانه في حال قضاء
حاجته وفي حال جماعه وورد في حديث معاذ بن جبل أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله لطف الملكين الحافظين حتى أجلسهما
على الناجذين وجعل لسانه قلمهما وريقه مداد هما وملك الحسنات
من ناحية اليمين أمين أو أمير على كاتب السيئات من ناحية اليسار فان
مشى كان أحدهما امامه والآخر وراءه وان قعد كان أحدهما على
يمينه والآخر عن يساره وان رقد كان أحدهما عند رأسه والآخر
عند رجليه كما روى عن مجاهد لا يتغيران ما دام حيا (تنبيه) تقدم
ان الكاتب لمعظم الاعمال ملك اليمين وملك اليسار وقد يكتب
بعض الاعمال غيرهما فقد قال النووي في حديث تبادر السبعين
ملكا لكتب قول رفاعة بن رافع الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه كما
يحب ربنا ويرضى دليل على ان بعض الاعمال قد يكتبها غير الحفظة
انتهى وفي حديث روى البخاري عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه
قال كنا وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع قال

رجل

رجل ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال من المتكلم قال أنا قال رأيت بضعا وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول قال بعض العلماء السر فى هذا العدد أن حروف هذه الكلمات بضعا وثلاثين حرفا فكان كل ملك بازاء حرف منها (تنبيه ثان) تردّد بعضهم فى أنه هل لكل يوم وليلة ملكان أو هما يلزمان العبد الى يوم القيامة ثم قال والظاهر أن ملكى الانسان لا يتغيران عليه مادام حيا ويوضحه قول أحد الملكين للآخر اذا لم يستغفر داخل ست ساعات بعد عمل السيئة اكتب أراحنا الله منه فبئس القرين ما اقل مراقبته لله عزوجل وأقل استحياءه ولا يقال ذلك لمن يكونان معه يوما واحدا أو بعض يوم لان ذلك خلاف لسان العرب فقد قال ابن السكيت القرين الصاحب وقوله أراحنا الله منه يقوى ذلك اذ مصاحبة يوم أو بعضه لا تطلب منها الاراحة غالبا انتهى من التحفة السنية (تنبيه ثالث) يبقى النظر فى اسم الكاتبين هل هما رقيب وعتيد وجواب ذلك أن أبا نعيم أخرج فى الحلية عن مجاهد ان اسم كاتب السيئات قعيد ويوافقه قول عطاء بن أبى رباح الذى أخرجه ابن أبى شيبة أتذكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين وان أحدهما عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والروايتان متفقتان على ان كاتب السيئات اسمه قعيد وأما كاتب الحسنات فلم أر من صرح باسمه انتهى ابن حجر فى فتاويه وقال الرملى فى الفتاوى ولم أقف على تسمية الكاتبين انتهى وقد علمت ما ذكرناه (تنبيه رابع) فان قلت اذا مات الانسان فأين يذهبان أجيب بانهما

يقومان على قبره ففى الحبائك للسيوطى أخرج الدارقطنى فى الافراد
عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا
قبض الله روح العبد صعد ملكاه الى السماء فقالا يا ربنا وكلتنا
بعبدك المؤمن نكتب عمله وقد قبضته اليك فأذن لنا أن نسكن
السماء فيقول سمائى مملوءة من ملائكتى يسبحونى فيقولان ائذن
لنا أن نسكن الارض فيقول أرضى مملوءة من خلقى يسبحونى ولكن
قوما على قبره فسبحانى واحمدانى وهللانى واكتباه لعبدى الى يوم
القيامة ثم قال فاذا كان العبد كافرا قبضت صعد ملكاه الى السماء
فيقول الله تعالى لهما ما جاء بكما فيقولان ربنا قبضت عبدك وجئناك
فيقول لهما ارجعا الى قبره والعناه الى يوم القيامة فانه كذبنى وجحدنى
وانى جعلت لعنتكما عذابا أعذبه به يوم القيامة انتهى ثم قال المؤلف
(والروح فيك وديعة أودعتها * ستردها بالرغم منك وتسلب)
قوله والروح فيك أى حالة فيك أيها الشخص وهى جسم لطيف
مشتبك فى الاجسام الكثيفة كاشتباك الماء بالعود الاخضر نص
على ذلك امام الحرمين وقال الجنيد هى شئ استأثره الله بعلمه ولم يطلع
عليه أحدا من خلقه فلا يجوز للعباد البحث عنه بأكثر من انه موجود
وقوله وديعة أى أمانة أودعها الله فيك ستردها بالرغم منك وتسلب
أى بأخذ الله لها منك أو ملائكته وكذا يقال ذلك فى أخذ الله المال
والاهل كما فى قول الشاعر

وما المال والاهلون الا ودائع * ولابد يوما أن ترد الودائع

فلا خصوصية للروح ثم أشار المؤلف الى التحذير من الركون الى

الدنيا

الدنيا والانهماك عليها فقال

(وغرور دنياك التي تسعى لها * دار حقيقتها تزول وتذهب)

قوله وغرور دنياك أي أيها الواقف على هذه المقدمة باطل قال تعالى وما الحياة الدنيا أي العيش فيها الامتاع الغرور أي باطل يتمتع به قليلا ثم يفنى وقوله حقيقتها تزول أي لا يبقى لها أثر وتذهب عطف تفسير * ومن كلام البلغاء حب الدنيا رأس كل فتنة الدنيا دار بلاء الدنيا دار المحنة انتهى * ومن كلام بعضهم في ذم الدنيا

سألت عن الدنيا الدنية قيل لي * هي الدار فيها الدائرات تدور
اذا أضحكت أبكت وان أحسنت أست
وان عدلت يوما فسوف تجور

(ومن كلام بعضهم أيضا)

* اني بليت بأربع يرمينني * بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسي والهوى * يارب أنت على الخلاص قدير

(وقال بعضهم)

* اني بليت بأربع يرمينني * بالنبل قد نصبوا الي شراكا
ابليس والدنيا ونفسي والهوى * من أين أرجو بينهن فكاكا

(تنبيه) من ركن الى الدنيا وزخارفها وسهى عن الاعمال في ليله ونهاره كان مغرورا واتحق بالبهائم كما قال عمر بن عبد العزيز في هذه الابيات

نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم لا ولا شيء لازم
* تسر بما يفنى وتفرح بالمنى * كما سر بالذات في النوم حالم

وشغلك فيما سوف تكره غبه * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

(وقال بعض الحكماء)

انظر الى الدنيا نظر الزاهد المفارق ولا تتأملها تأمل العاشق الواثق

(وأنشد فى المعنى)

الا انما الدنيا كأحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل اذا ما نلت بالامس لذة * فأفنيتها هل انت الا كحالم
فمن غافل عنه وليس بغافل * ومن نائم عنه وليس بنائم

(وقال الشافعى فى ذم الدنيا)

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها * وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم أرها الا غرورا وباطلا * كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها
وما هى الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الامور فانها * حرام على نفس التقى ارتكابها

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

(وجميع ما حصلته وجمعته * حقا يقينا بعد مونك ينهب)

قوله وجميع ما حصلته الخ أى جميع ما اكتسبته مطلقا من حل وحرام وجمعته عطف تفسير وقوله يقينا أى من غير شك ولا ظن وقوله ينهب أى ينهبه الوارث أو غيره وعهدته عليك كما قال يحيى بن معاذ مصيبتنا هذه لم يسمع الاولون والآخرون بمثلها مال الانسان عند موته يؤخذ كله ويسئل عنه كله (تنبيه) اذا علمت أن الدنيا تزول وان جميع ما حصلته منها ينهب ينبغى لك أن لا تعلق آمالك بها

ولا

ولا تتأسف على شئ فاتك منها وان تغتنم سلامة دينك فقد قال بعضهم

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر
فلم تعدل الدنيا جناح بعوضة * ولا وزن ريش من جناح لطائر
فما رضى الدنيا ثوابا لمحسن * وما رضى الدنيا عقابا لكافر

(فائدة) اعلم ان أشرف ما فى الدنيا على ستة أقسام (الاول) مطعوم وأشرفه العسل وهو مذقة ذبابة (الثانى) مشروب وأشرفه الماء ويستوى فيه البر والفاجر (الثالث) ملبوس وأشرفه الحرير وهو نسج دودة (الرابع) مركوب وأشرفه الفرس وعليه تقاتل الرجال وتقتل (الخامس) منكح واشرفه المرأة وهو مبال فى مبال (السادس) مشموم وأشرفه المسك وهو دم حيوان اذا علمت ان أشرف ما فيها بوجد من محقراتها فلا تغتر بها لخستها ثم قال المؤلف

(تبا لدار لا يدوم نعيمها * ومشيدها عما قليل يخرب)

قوله تبا لدار لا يدوم نعيمها أى خسرت وهلكت ونعيمها كما تقدم ذكره فى البيت قبله وقوله مشيدها أى بناؤها العالى المحكم المشيد بالجص والبلاط وقوله عما قليل يخرب أى لقصر مدتها بالنسبة للآخرة فلا تعلق امالك بها ولا تغتر بقول القائل

* تبت يد الايام ما قصرت * كم من عزيز النفس قد حسرت
كم من خسيس النفس دامت له * كأنها عمياء ما أبصرت

وقد أحسن أبو تمام مقاله فى انقضاء الايام المنيئة والرديئة بقوله

أعوام وصل كان ينسى طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أعقبت * نجوى اسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

فقوله دامت له أى بالنسبة لطول مكثها فى يده عادة واقبال الناس عليه وتحيتهم له وسماع كلامه وان كان خلاف الصواب كما سيأتى فى قوله ويفوز بالمال الحقير مكانة الخ ثم قال المؤلف

(فاسمع هديت نصائحا أولاكها * حبر لبيب عاقل متأدب)

قوله فاسمع هديت أى هداك الله تعالى ودلك على ما أرشدك اليه من النصائح جمع نصيحة وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى وقوله أولاكها أى أولاك من التولية عليها وأعطاها لك كالمحسوسة وقوله حبر أى عالم أو صالح لبيب أى عاقل كما فى القاموس وعاقل فى قوله عطف تفسير وقوله متأدب أى كثير الادب وهو أشرف ما يكتسبه الشخص لقلة وجوده الآن وقد مدح النبى عليه السلام الادب بقوله أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم قال المؤلف

(ذهب الزمان حقيقة بتبصر * والى الامور سبائب وتعقب)

قوله ذهب الزمان حقيقة أى قل خير أهله وكثر شرهم وارتفع اسافلهم على أعاليهم وقوله بتبصر بالموحدة والتاء المثناة فوق وموحدة بعدها وصاد مهملة أى بعلم وامعان نظر وقوله والى الامور أى فى انقضائه وقوله سبائب وتعقب بمثناة فوقية وعين مهملة وقاف وموحدة آخره أى تقدم وتأخر لاهله قال بعضهم ملوحا لقلة خير أهل هذا الزمان بقوله

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * سروا وقالوا مرحبا بالمقبل

وبقي الذين اذا رأوني مقبلا * سبوا وقالوا ليته لم يقبل

(وقال آخر)

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

وما كل من تهوى يحبك قلبه
ولا كل من صاحبته لك منصف

(ومن كلام تقي الدين رحمه الله تعالى)

أشكو الى الله جور دهر * سطت على الخطوب فيه
لم ألف من أهله لبيبا * مهذب النفس أصطفيه

فعلم من كلام المؤلف ضمنا ومن هذه الابيات صريحا قلة خير أهل هذا الزمان وكان من محاسن الشريعة أن يحب الشخص لغيره مايحب لنفسه من الخير كما ورد بذلك الحديث انتهى ثم قال المؤلف

اهدى النصيحة فاتعظ بمقاله * فهو التقي اللوذعي الاديب

قوله اهدى النصيحة قال الخطابي النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له وقيل مأخوذة من نصح الرجل ثوبه اذا خاطه وقيل مأخوذة من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع انتهى وقوله فاتعظ بمقاله أي بما دلك عليه فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الدين النصيحة وقوله اللوذعي بالذال المعجمة والعين المهملة والاديب بالدال والراء المهملتين أي القوي الشديد على الامور لانه عنده علم ودراية بذلك لان شرط الناصح أن يعلم عين ماينصح به انتهى

(موعظة حكمية) ان رجلا قال لبعض العلماء أوصني قال أزهد في

الدنيا ولا تنازع فيها أهلها وانصح لله تعالى كنصح الكلب لاهله فانهم يجيعونه ويضربونه ويأبى الا ان يحوطهم نصحا فينبغي لك ان تتخلق بأخلاقه ثم قال المؤلف

(لا تأمن الدهر الخؤون لانه * مازال قدما للرجال يهذب)

قوله لا تأمن الدهر الخؤون أى الزمان ونسبة الخيانة اليه نسبة مجازية وقوله قدما بكسر أوله وسكون ثانيه أى قديما وقوله للرجال أى البالغين الكاملين وغيرهم وقوله يهذب أى يلين أنفسهم بخفض ورفع ونحو ذلك قال عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن ابراهيم ابن الاخوة رحمه الله تعالى

الدهر كالميزان يرفع ناقصا * جهلا ويخفض زائد المقدار
واذا انتهى الانصاف عادل عدله * في الوزن بين حديدة ونضار

ثم قال المؤلف

(وكذلك الايام في غدراتها * مرت يذل لها الاعز الانجب)

هذا البيت معطوف على ماقبله أى لا تأمن الايام في غدراتها بفتح الغين المعجمة والدال والراء المهملتين والمثناة الفوقية أى الغدرات الواقعة فيها التي ذل منها الاعز الانجب أى القوى الكريم قال في المختار الاعز بمعنى العزيز ورجل نجيب أى كريم (تنبيه) لا تغتر بالايام وان أعطتك ثروة أوجاها لانها سيب معه الكدر وقال الشاعر في المعنى

ومن عادة الايام ان خطوبها * اذا سر منها جانب ساء جانب
وما أعرف الايام الا ذميمة * ولا الدهر الا وهو للمرء طالب

ثم قال المؤلف

والفقر شين فى الرجال لانه * يزرى به الشهم الرفيع الانسب

قوله والفقر شين فى الرجال أى وفى غيرهم من النساء وهو مصيبة عظيمة لمن لم يصبر عليه لما ورد فى الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا وقال بعض العلماء رحمهم الله تعالى

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى * ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وقوله لانه يزرى بضم الياء المثناة تحت وسكون الزاى وفتح الراء المهملة وقوله الشهم بالشين المعجمة وقوله الرفيع الانسب واحد الانساب ونسبت الرجل ذكرت نسبه أى من له شرف فى آبائه يقال رجل شريف ماجد اذا كان له آباء متقدمون فى الشرف والحسب والكرم فيكون ذلك فى الرجل وان لم يكن له شرف والمعنى ان الفقر يزرى بعالى النسب خصوصا فى زماننا هذا فينبغى للاغنياء الذين لم يذوقوا طعم الفقر التلطف بالفقراء والتعطف عليهم لما ورد فى الحديث ارحموا عزيز قوم ذل ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين الجهال ومن كلام الشافعى رضى الله عنه

لم يذر طعم الفقر من هو فى الغنى * ومصحح الاعضاء ليس كمن بلى

كم فاقة مستورة بمروءة * وضرورة قد غطيت بتجمل

وكم ابتسام تحته قلب شجى * قد خالطته كربة لا تنجلى

والناس جمعا عند كل كفؤه * والهم مفترق ولا أحد خلى

لو سود الهم الملابس لم ترى * بيض الثياب على امرئ فى محفل

قال المؤلف

(ويفوز بالمال الحقير مكانة * فتراه يرجى ماليه ويرغب
ويسر بالترحيب عند قدومه * ويقام عند سلامه ويقرب)

أشار المؤلف فى هذين البيتين الى أن الشخص الخسيس يحصل له بوجود المال رفعة عالية عند الناس بقيامهم له وتعظيمه واستماع كلامه والعمل به رعاية له كما هو مشاهد فى زماننا هذا وقد قال أبو القاسم الهيتى فى المعنى مشيرا للحرص على تحصيل المال

المال أفضل ما أدخرت فلا تكن * فى مرية ما عشت فى تفضيله
ما صنف الناس العلوم بأسرها * الا لحيلتهم على تحصيله

ثم قال المؤلف

فاقنع ففى بعض القناعة راحة * واليأس عما فات فهو المطلب

قوله فاقنع الخ أشار المؤلف الى القناعة وهى الرضا بما قسم الله واقنعه الشئ اذا أرضاه والقناعة محمودة بدليل الطمع مذموم قال صاحب كتاب أنس المنقطعين رحمه الله

اذا المرء عوفى فى جسمه * وملكه الله قلبا قنوعا
والقى المطامع عن نفسه * فذاك الغنى ولو مات جوعا

(وقال غيره وهو منقول عن الشافعى)

وجدت القناعة رأس الغنى * فصرت بأذيالها متمسك
* فلا ذا يرانى على بابه * ولا ذا يرانى به منهمك
* فأورثنى عزها خلعة * يعز الزمان ولا تنهتك
* وصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس شبه الملك

فينبغى لك التأسى بقول هؤلاء العلماء والاقتصار على الموجود وان

قل فان طلب الزيادة مكروه كما قال بعضهم فى المعنى

كن قانعا يسيرا أنت واجده * واصبر ولا تتعرض للارادات

فخاصفى البحر الا وهو منتقص * وما تكدر الا بالزيادات

(تنبيه) القانع هو الذى يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض لذلك ثم قال المؤلف

(واذا طمعت كسيت ثوب مذلة * فلقد كسى ثوب المذلة أشعب

قوله واذا طمعت أى طلبت الزائد كسيت ثوب مذلة أى ذل وهوان فتركه سعادة قال فى الحديث سعادة المرء فى قلة طمعه وقال الشافعى فى المعنى

امت مطامعى فأرحت نفسى * فان النفس ما طمعت تهون

وأحييت القنوع وكان ميتا * ففى احيائه عرض مصون

اذا طمع يحل بقلب عبد * علته مهانة وعلاه هون

وقوله فلقد كسى ثوب المذلة أشعب أى لبس ثوب الذل والهوان لكثرة طمعه لانه قيل انه كان اطمع أهل الارض فضرب به المثل ثم قال المؤلف

لا تحرصن فالحرص ليس بفاخر * فالحرص مشقى للرجال ومتعب

قوله لا تحرصن أى على الدنيا كما فى المصباح فالحرص ليس بفاخر أى فالحرص على ما زاد على قدر الحاجة ليس فيه فخر وقوله فالحرص مشقى للرجال ومتعب أى فاكتسابه فيه مشقة على الرجال وكذا غيرهم ثم قال المؤلف

(كم عاجز فى الناس يأتى رزقه * رغدا ويحرم كيس ويخيب)

قوله كم عاجز فى الناس أى وغيرهم عجزا حقيقيا اولا قدرة له على الكسب يأتى اليه رزقه من حيث لا يحتسب رغدا كثيرا ويحرم كيس أى قوى ذو فطنة وتجربة أى فلا يحصل مقصوده وان طاف البلاد وسأل العباد (كما حكى) عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه ناجى ربه فقال يارب لم رزقت الاحمق وحرمت العاقل فقال الله تعالى ليعلم العاقل ان الرزق ليس باحتيال شعر

أعجب من ربى ورب حكيم * قد احرم العاقل فضل النعيم
ما ظلم البارى ولكنه * أراد ان يظهر عجز الحكيم

(وقال بعضهم رحمه الله)

كم من أديب فهم قلبه * مستكمل العقل مقل عديم
وكم جهول مكثر ماله * ذلك تقدير العزيز العليم

ثم قال المؤلف

(فعليك تقوى الله فالزمها تفز * انّ التقىّ هو البهىّ الاهيب)

قوله فعليك تقوى الله أشار الى ان التقوى رأس الامور قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقال تعالى إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم والمراد بها اتيانك بالواجبات من نحو طهارة وصوم وصلاة وزكاة وحج وامر بمعروف ونهى عن منكر وغير ذلك واجتنابك عن المنهيات من نحو ترك صلاة وصوم وحج وصحة معاملات ورياء وترك أمر بمعروف ونهى عن منكر وحب رياسة بغير حق اما اذا كانت بحق فلا بأس بها قال البسطامى ومن امارات القيامة ان يكون العصر خاليا من سياسة

العقلاء أو رياسة الفضلاء شعر

رياسات الرجال بغير علم * ولا تقوى الاله هى الخساسة
وكل رياسة من غير علم * أذل من الجلوس على الكناسة
وأشرف منزل وأعز عز * وخير رياسة ترك الرياسة

وقوله فالزمها تفز أى تنل غاية مطلوبك اذ التقى وهو الملازم على فعل الواجبات وترك المنهيات امتثالا لله تعالى هو الجهى الاهيب أى الموقر المحترم (تنبيه) ينبغى للانسان أن يتخلق بما يأمر به غيره والا كان مقصرا فمن كلام أبى العتاهية

أراك امرأ ترجو من الله عفوه
وأنت على ما لا يحب مقيم
تدل على التقوى وأنت مقصر
فيا من يداوى الناس وهو سقيم

ومما يدل على ان التقوى أفضل الاكتساب قول القائل

يريد المرء ان يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى * وتقوى الله أفضل ما استفادا

ومن كلام الشيخ مرعى الحنفى رحمه الله تعالى

أيها الغارق فى لذته * دعتك تفعل كل قبيح وحسن
كل هذا عن قريب ينقضى * ثم تستيقظ من هذا الوسن
ثم تدرى ان ما كنت به * من غرور محض سوء ومحن
لا كتقوى الله شئ فاعلمن * ان من يعرض عنها يمتهن

(تنبيه) الرياء فى الامر بالتقوى وغيرها هو الشرك الاصغر فيجب

اجتنابه لانه قد شهد بتحريمه الكتاب والسنة وانعقد عليه اجماع الامة وهو مأخوذ من الرؤية وقد يأتي الكلام عليه في البيت الذي يليه وهو قول المؤلف رحمه الله

(واعمل لطاعته تنل منه الرضا * ان المطيع لربه لمقرب)

قوله واعمل لطاعته أي اعمل أيها الشخص لطاعة الله تعالى من اتيانك بالايمان والصلاة وسائر الطاعات قال الله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم به وقوله تنل الخ أي تنل غاية مطلوبك وهو الرضا منه سبحانه وتعالى بغفران السيئات ورفع الدرجات جزاء لك قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون اي من الايمان والصلاة وسائر الطاعات فسمى عملا حيث أدخله في جملة الاعمال وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل قال ايمان بالله وجهاد في سبيله (قال ابن حجر في الزواجر) فائدة قال سيدي محيي الدين المراتب التي تعطى السعادة للانسان أربعة الايمان والولاية والنبوة والرسالة ثم ان العلم من شرائط الولاية وليس من شرائط الولاية الايمان لان متعلق الايمان الخير وقد يوجد ولي الله تعالى من غير ايمان كقس بن ساعدة فانه موحد لا مؤمن وهو سعيد بلا شك وبه يلغز فيقال لنا شخص يدخل الجنة وهو غير مؤمن وهو من وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه ولم يكن في زمنه شرع يؤمن به وهي مسئلة عظيمة اغفلها العلماء (خاتمة) ذهب الماتريدية الى ان السعيد هو المسلم والشقي هو الكافر والسعادة الايمان

والشقاوة

والشقاوة الكفر وحينئذ فيتصور ان السعيد قد يشقى بأن يرتد بعد الايمان نعوذ بالله تعالى وان الشقى قد يسعد بأن يؤمن بعد الكفر نسأله حسن الخاتمة (فان قلت) فهل للملك حظ فى الشقاء (فأجاب) سيدى عبد الوهاب بأنه لا حظ له فيه وأما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح منه شئ فالشقاوة والسعادة حاصلان بالجن والانس وحكم عدو الله وولى الله كحكم السعيد والشقى سواء بسواء والله أعلم * وقوله ان المطيع لربه لمقرب أى بتركه المنهيات ومداومته على فعل الطاعات من غير شائبة رياء فى نحو صلاة وصوم وحج وزكاة واستغفار وتسبيح وأذكار بأن كان ذلك خالصا لوجهه سبحانه وتعالى قال فى الفتح المبين العمل اما رياء محض بأن يراد به غرض دنيوى فقط ولو مباحا فهو حرام لا ثواب فيه واما مشوب برياء ولا ثواب فيه أيضا للخبر الصحيح من عمل عملا فأشرك فيه غيرى فأنا منه برئ هو والذى أشرك واختلف الغزالى وابن عبد السلام فيمن قصد بعمله الرياء والعبادة فقال الغزالى وهو معتمد الرملى ان غلب باعث الدنيا فلا ثواب له أو باعث الآخرة فالثواب وان تساويا تساقطا فلا ثواب أيضا وقال ابن عبد السلام لا ثواب مطلقا والذى يتجه ترجيحه أنه متى كان المصاحب لقصد العبادة رياء مباحا لم يقتض اسقاط ثوابها من أصلها بل يثاب على مقدار قصده العبادة وان ضعف أو محرما اقتضى سقوطه من أصله كما دلت عليه الاحاديث الكثيرة وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قد لا يعكر على ذلك لان قصد المحرم أوجب سقوط قصده الاجر فلم يبق له

مثقال ذرة من الخير فلم تشمله الآية وحد الرياء المذموم ارادة العامل بعبادته غير وجه الله كان يقصد اطلاع الناس على عبادته وكماله حتى يحصل له منهم نحو جاه أو مال أو ثناء أو بأظهار نحول وصفرة ونحو شعث شعر وبذاذة هيئة وخفض صوت وغض جفن ايهام اجتهاده فى العبادة وحزنه وقلة أكله وعدم مبالاته عن الدنيا واهلها ومادرى المخذول أنه حينئذ أقبح من أراذلهم كالمكاسين وقطاع الطريق لانهم معترفون بذنوبهم لاغرور لهم فى الدين واما باظهار زى الصالحين كاطراق الرأس فى المشى والهدو فى الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه ولبس الصوف وخشن الثياب وتقصيرها ايهام أنه من العلماء أو من السادة الصوفية رضى الله عن محققيهم وخذل مبطليهم مع الافلاس عن حقيقة العلم أو التصوف بباطنه ومادرى المخادع ان كل ماوصل اليه لاجل هذا التلبيس حرام عليه وأنواع الرياء لاتنحصر فان كان متلبسا بشئ من ذلك ما ازداد من الله الا بعدا ومقتا وطردا والله أعلم (تنبيه) ينبغى للانسان ان يستعين على الطاعة بترك الشهوات لان مداخل الشيطان الى القلب كثيرة منها الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا لان الشبع يقوى الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان فقد روى أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يحيى يا إبليس ماهذه المعاليق قال هذه الشهوات التى أصيب بها بنى ادم قال فهل لى فيها شئ قال ربما شبعت فيثقلك عن الطاعة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله على أن لا أملأ بطنى من

طعام

طعام أبدا فقال ابليس ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا انتهى
(فائدة) (فان قلت) هل يدخل الرياء فى نحو الصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم والاستغفار (قلت) الاصح أنه يدخل ويؤيد
ذلك ما أجاب به الشمس الرملى حين سئل عن قول العامة إن الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم والاستغفار لا يردان صحيح أم لا
(فأجاب) بأن كلا منهما عمل يجرى فيها ما هو مقرر فى بقية الاعمال
انتهى فان قال قائل هل الافضل الاشتغال بالاستغفار أم بالصلاة
والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان يدخلها الرياء أم
يفرق بين من غلبت طاعته فالصلاة له أفضل أم معاصيه فالاستغفار
له أفضل فالجواب كما أجاب به الشمس الرملى بأن الاشتغال بالصلاة
والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الاشتغال
بالاستغفار مطلقا (فان قلت) هل يدخل الرياء فى الصوم (قلت)
لا يدخل فقد أخرج البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة الصيام لا رياء
فيه قال ابن حجر فى اتحاف أهل الاسلام المراد بكونه لا رياء فيه ان
ذاته التى هى الامساك بالنية لا يمكن الاطلاع عليها من حيث هى
وانما يطلع عليها بالاخبار عنها بانا صائم ونحوه وحينئذ فالرياء انما هو
بهذا القول لا بالصيام فظهر ان الصيام لا رياء فيه ثم رأيت بعض
المحققين صرح بذلك ولا يعارض ماذكرناه بخبر البيهقى من صام يرائى
فقد أشرك لانه لا يستلزم ان يكون يرائى بنفس صومه بل يقصد
بان يرائى بالاخبار عن صومه بنحو أنا صائم انتهى ملخصا ثم قال
المؤلف

ادا الامانة والخيانة فاجتنب * واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
قوله ادّ الامانة أى ما أئتمنت عليه شرعا دنيويا أو أخرويا كما هو
ظاهر كلامه وقوله والخيانة فاجتنب أى اجتنب الخيانة فيما أئتمنت
عليه وقوله واعدل أى انصف ولا تظلم لما ورد فى الحديث الظلم
ظلمات يوم القيامة رواه البخارى * وعن الامام أبى حنيفة أكثر
ماسلب الناس الايمان عند الموت وأكثر أسباب ذلك الظلم وقال
بعض العلماء الظلم كبيرة وكذا محبة الظلمة أو الفسقة بأى نوع كان
فسقهم وبغض الصالحين وأذية أولياء الله ومعاداتهم وفى فتاوى
البديعى من الحنفية رحمه الله تعالى من استخف بالعالم طلقت
امرأته وكانه جعله ردة انتهى وقال الحافظ ابن عساكر لحوم العلماء
مسمومة وعادة الله فى هتك منتقصهم معلومة ومن أطلق لسانه فى
العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب فليحذر الذين
يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (تنبيه)
تقدم أكثر ما يسلب الناس الايمان عند الموت وأكثر أسباب
ذلك الظلم وانما يستحق صاحبه اللعن اذا تحقق موته على الكفر وأما
ما اختلف فيه كيزيد ونحوه فلا يجوز لعنه كما أفتى به الغزالى وقال
بعضهم بجواز لعنه واستدل بقوله عليه السلام من أخاف أهل
المدينة ظلما أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
ولا خلاف ان يزيد اغزا المدينة بجيشه وأخاف أهلها وفى حديث
مسلم ووقع من ذلك الجيش ما وقع من القتل والفساد العظيم والسبى
واباحة المدينة ماهو مشهور حتى فض نحو ثلثمائة بكر وقتل من

الصحابة

الصحابة نحو ذلك وممن قرأ القرآن نحو سبعمائة نفس وأبيحت المدينة أياما وبطلت الجماعة من المسجد النبوى أياما واختلف أهل المدينة أياما فلم يمكن أحد دخول مسجدها حتى دخلته الكلاب والذياب وبالت على منبره عليه السلام تصديقا لما أخبر به عليه السلام وكل ذلك بسبب يزيد وأما لعن الحى لا يجوز لعنه بوجه ما وقوله يطيب المكسب أى الكسب (فائدة) وجد مكتوب على ايوان كسرى الظلم لا يدوم وان دام دمر * والعدل لا يدوم وان دام عمر * ومن لم يكن له ولد ذكر لم يذكر * والفقر هو الموت الاحمر * والاعمى ميت وان لم يقبر (تنبيه) من الظلم ان تظلم نفسك بمخالفتك للاوامر والنواهى أو تظلم نفسك كظلم المسيح الدجال لنفسه وأوامره لغيره فالحذر ثم الحذر من فتنته فقد ورد فى رواية أنه لم تكن فتنة فى الارض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وفى رواية ما بين خلق آدم الى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال واعلم أنه يدعى النبوة ثم الالوهية وهو أعور العين اليمنى وقيل اليسرى ومعه جنة ونار يجوء من ناره من قرأ فواتح الكهف ونهر يرى ماوراءه ماؤه أبيض ونهر عكسه وهو الماء البارد (ومن فتنته) أنه يسلط على نفس واحدة فينشرها شقتين ثم يمشى بينهما ويقول انظروا فانى أبعثه الآن ثم يزعم ان له ربا غيرى ثم يبعثه الله فيقول أنت عدو الله الدجال فيريد قتله فلا يقدر عليه بعد هذا وهو الخضر (ومنها) أنه يأمر السماء ان تمطر فتمطر والارض أن تنبت فتنبت (ومنها) أنه يأمر النهر أن يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع

ثم يأمره أن يبس فيبس (ومنها) أنه يأمر جبل سينا وجبل زيتا ان ينتطحا فينتطحا (ومنها) أنه يأمر الريح ان تثير سحابا من البحر فتمطر الارض (ومنها) انه يخوض البحار في اليوم ثلاث خوضات لا يبلغ حقويه واحدى يديه أطول من الاخرى فيدلى الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد (ومنها) أنه يمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزي (ومنها) أنه يركب حمارا ما بين أذنيه أربعون ذراعا يستظل تحتها سبعون ألفا من اليهود (ومنها) أنه يصيح ثلاث صيحات يسمعهن أهل المشرق والمغرب (ومنها) غير ذلك من المفاسد ما لا يحصى فلا تغتر بقوله فانه أظلم الظالمين ثم قال المؤلف

واحذر من المظلوم سهما صائبا * واعلم بأن دعاءه لا يحجب

قوله واحذر من المظلوم أي بغير حق سهما صائبا من الله تعالى واعلم بأن دعاءه أي تحقق بأنه لا يحجب لقوله عليه السلام دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه (وروى) دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب دعوة المظلوم ودعوة الاخ لاخيه بظهر الغيب (فائدة) هل يجوز للمظلوم أن يقابل ظالمه بمثل ما فعل معه من نحو غيبة أو قذف أو تجسس أم لا (والجواب) لا يجوز كما في مختصر الزواجر ونص عبارته لا يجوز للانسان اذا ظلم بنحو غيبة أو قذف أو تجسس أن يقابل ذلك لانه لا حد له يتوقف على المماثلة فيه والقصاص انما يجري فيما فيه المماثلة نعم رخص أئمتنا أن يقابله بما لا ينفك عنه أحد كأحمق وجاهل اذ ما من أحد الا وفيه

جهل

جهل وهو أحق فيما بينه وبين ربه قال الغزالي وكذا ياسيء الخلق ياضيق الوجه يا ثلاب الاعراض اذا كان ذلك فيه وكذا لو كان فيك حياء ما تكلمت ما احقرك في عيني بما فعلت خزاك الله انتقم الله منك وأما نحو القذف وسب الوالدين فحرام اتفاقا والافضل ترك الجائز منه لانه يجر الى ما هو أقبح منه وأفحش انتهى ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

واخفض جناحك للاقارب كلهم * بتذلل واسمح لهم ان أذنبوا

قوله واخفض جناحك الخ أشار رحمه الله تعالى الى الوصية بالاقارب ولين الجانب لهم والصفح عما يصدر منهم والمواساة لما ورد في ذلك من الحث الاكيد والتأكيد الشديد على صلة الرحم قال الله تعالى والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب (اعلم) ان في هذه الآية تأكيد الحث على صلة الارحام وذوالقربى من بينك وبينه قرابة وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم ان البر والصلة ليخففان سوء الحساب يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم في اثناء حديث ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه وقال صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة من احب أن يزاد في عمره وأن يزاد في رزقه فليصل رحمه قال المناوي في شرحه فان صلة الرحم تزيد في العمر وفي الرزق وقال صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر وقد أطلنا الكلام على

ما يتعلق بصلة الرحم فى الشرح الكبير والوسط فمن أراد المزيد
فعليه بهما ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

(واذا بليت بنكبة فاصبر لها * من ذا رأيت مسلما لا ينكب)
قوله واذا بليت بنكبة قال فى المختار النكبة واحدة نكبات الدهر
ونكب الرجل بالبناء لما لم يسم فاعله فهو منكوب انتهى ومعناه اذا
ابتليت بحادثة من حوادث الدهر فاصبر قال الله تعالى يا أيها الذين
آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين وقال تعالى
وبشر الصابرين أى على البلاء بالجنة الذين اذا أصابتهم مصيبة أى
بلاء قالوا انا لله ملكا وعبيدا يفعل بنا ما يشاء وانا اليه راجعون فى
الآخرة فيجازينا وفى الحديث من استرجع عند المصيبة آجره الله
فيها واخلف عليه وفيه أن مصباح النبى صلى الله عليه وسلم طفئ
فاسترجع فقالت عائشة ان هذا مصباح فقال كل ما ساء المؤمن
فهو مصيبة رواه أبو داود فى مراسيله وعن عمر بن الخطاب أنه قال
ما أصبت بمصيبة الا ونظرت ان لله على فيها ثلاث نعم (الاولى)
ان الله هونها على فلم يصبنى بأعظم منها وهو قادر على ذلك (والثانية
ان الله تعالى جعلها فى دنياى ولم يجعلها فى دينى وهو قادر على ذلك
(والثالثة) ان الله تعالى يؤجرنى بها يوم القيامة وفى القاموس
الصبر نقيض الجزع وقال ابن جماعة حد الصبر حسن اليقين عند
الجزع والله أعلم ومن كلام بعضهم

تلق الامور بصبر جميل * وصدر رحيب وخل الحرج
وسلم الى الله فى حكمه * فاما الممات واما الفرج

وسئل الجنيد عن الصبر فقال هو تجرع المرارة من غير تعبيس وقال الخواص الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال السرى السقطى اصبر الناس من صبر على الحق

(خاتمة) ينبغى للانسان أن يتأسى بأفعال الصحابة وأقوالهم وكذا غيرهم من أهل الصلاح فقد قيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم رأيته يوما قاعدا محتبيا يحدث الناس فأتى برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت الى ابن أخيه وقال يا ابن أخى بئس ما فعلت أثمت عند ربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك وقللت عددك ثم قال لابن له آخر قم الى ابن عمك فحل كتافه ووار اخاك وسق الى أمه مائة من الابل لانها غريبة انتهى فانظر ما أصبره على هذه المصيبة ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

واذا أصابك فى زمانك شدة * وأصابك الخطب الكريه الاصعب

قوله واذا أصابك أى نابك أمر مشق عظيم وقوله وأصابك الخطب الكريه الاصعب بالخاء المعجمة والطاء المهملة أى الامر الشديد المتعب كما فى المصباح والجمع خطوب مثل فلس وفلوس وقال الازهرى تقول هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه خطوب وينبغى لك اذا أصابك ما تكره ان تلازم على الدعاء كما قال المؤلف رحمه الله تعالى

فادعو لربك أنه أدنى لمن * يدعوه من حبل الوريد وأقرب

قوله فادع لربك أى ادع الله تعالى فى رفع ما أصابك من الشدائد

أوان يلطف بك فيها قال ابن طوعان في المعنى

انى اذا ما نابنى * أمر نفى تلذذى
واشتدّ منه جزعى * وجهت وجهى للذى

ومن كلام الشافعى رحمه الله تعالى وهو مجرب فى تفريج كل أمر مهم

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها مخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله انه أدنى لمن يدعوه من حبل الوريد وأقرب أى لان الله أقرب بالعلم لعباده المؤمنين من حبل الوريد قال فى الجلالين الاضافة للبيان والوريد ان عرقان بصفحتى العنق والله أعلم ثم حذر المؤلف من مخالطة الناس والبعد عنهم بقوله

كن ما استطعت عن الانام بمعزل * ان الكثير من الورى لا يصحب

قوله كن ما استطعت عن الانام بمعزل أشار المؤلف الى العزلة عن بعض الناس لا عن كلهم بدليل التخصيص فى الشطر الثانى وكان له التعميم كما نص عليه فى الشطر الاول والحث على ترك الاجتماع بهم تأسيا بما قاله سيدى عبد الله المنوفى رحمه الله تعالى

أنست بوحدتى ولزمت بيتى * فطاب الانس لى ونمى السرور
وأدّبنى الزمان فلا أبالى * هجرت فلا أزار ولا أزور

وفيه اشارة الى انه ينبغى للانسان انه يبصر بأحوال نفسه ولا يشتغل بعيب غيره وفى هذا المعنى قال بعضهم

قبيح على الانسان ينسى عيوبه * ويذكر عيبا فى أخيه قد اختفى
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره * وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

ومما

ومما ينبغي للانسان في هذا الزمن عدم الاكتراث بالناس والتودد اليهم كما قال بعضهم

لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

ومما وجد بخط الشعراني من كلام أبي حنيفة في المعنى

نعيب زماننا والعيب فينا * وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب * ولو نطق الزمان بنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب * ويأكل بعضنا بعضا عيانا

(وقال بعضهم)

لما صحبت بني الزمان فلم أجد * خلا وفيا للشدائد اصطفي
ايقنت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

(ومن كلام عبد الرحمن الداودي)

كان اجتماع الناس فيما مضى * يورث البهجة والسلوة
فانقلب الامر الى ضده * فصارت السلوة في الخلوة

(ومن كلامه أيضا)

كان في الاجتماع من قبل نور * فمضى النور وادلهم الظلام
فسد الناس والزمان جميعا * فعلى الناس والزمان السلام

(خاتمة) ينبغي للانسان ترك اخلاء السوء والعزلة عنهم ولزوم الوحدة كما ترك بعضهم الاجتماع على الناس وصار يستأنس بمعاشرة الكلاب لقلة ضررهم وحفظ وداده‌م ونعم ما فعل خصوصا في زماننا هذا * قال في كتاب فضيلة الكلاب على كثير ممن

لبسوا الثياب مما يرغب فى صحبة الكلاب دون الناس اعلم أعزك
الله ان الكلب لمن تيقنه أشفق من الوالد على ولده والاخ الشفيق
على أخيه وذلك انه يحرس ربه ويحمى حريمه شاهدا وغائبا ونائما
ويقظانا لا يفتر عن ذلك وان جفوه ولا يخذلهم وان خذلوه ورأى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعرابيا يسوق كلبا فقال ماهذا الذى
معك فقال يا أمير المؤمنين نعم الصاحب ان أعطيته شكر وان منعته
صبر قال نعم الصاحب فاستمسك به ورأى ابن عمر اعرابيا معه كلب
فقال له ماهذا الذى معك قال من يشكرنى ويكتم سرى قال فاحتفظ
بصاحبك قال الاحنف بن قيس اذا بصبص الكلب فثق ببصبصته ولا
تثق ببضابض الناس فرب مبضبض خوان وقال الشعبى خير خصلة
فى الكلب أنه لا ينافق فى صحبته وقال ابن عباس رضى الله عنهما
كلب أمين خير من انسان خؤون وقال بعضهم أتيت يوما الفضل بن
يحيى فصاد فتنه يشرب وبين يديه كلب فقلت له اتنادم كلبا قال نعم
يمنعنى اذاه ويكف عنى اذى سواه ويشكر قليلى ويحرس مبيتى ومقيلى
وذكر بعض الرواة قال كان للربيع بن بدر كلب قد رباه فلما مات
الربيع ودفن جعل الكلب ينضرب على قبره حتى مات وكان لعامر
ابن عنترة كلاب صيد وماشية وكان يصحبها فلما مات عامر لزمت
الكلاب قبره حتى ماتت عنده وتفرق عنه الاهل والاقارب *
وروى لنا عن شريك قال كان للاعمش كلب يتبعه فى الطريق اذا
مشى حتى يرجع فقيل له فى ذلك فقال رأيت صبيانا يضربونه ففرقت
بينهم وبينه فعرف ذلك لى فشكره فاذا رآنى يبصبص لى ويتبعنى *

وروى عن بعضهم أنه قال الناس فى هذا الزمن خنازير فان وجدتم كلبا فتمسكوا به فانه خير من ناس هذا الزمن قال الشاعر

أشدد يديك بكلب ان ظفرت به
فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

(وأنشدنى أبو العباس الازدى)

لكلب الناس ان فكرت فيهم * أضر عليك من كلب الكلاب
لان الكلب تخساه فيخسا * وكلب الناس يربض للعتاب
فان الكلب لا يؤذى جليسا * وأنت الدهر من ذا فى عذاب

(حدثنا) أحمد بن منصور عن أبيه عن الاصمعى قال حضرت بعض الاعراب الوفاة وكلب فى جانب خيمته فقال لاكبر أولاده

أوصيك خيرا به فان له * صنائعا لا تزال أحمدها
يدل ضيفى على فى غسق الليل اذا النار نام موقدها

والكلام فى هذا المحل منتشر جدا لكن الاختصار فيه البلاغ ثم قال المؤلف

(واجعل جليسك سيدا تحظى به * حبر لبيب عاقل متأدب)

أشار فى هذا البيت الى الحث على اتخاذ الجليس الكامل من شوائب النقص كما قال بعضهم

من عاشر الاشراف عاش مشرفا * ومعاشر الاندال غير مشرف
ما تنظر الجلد الحقير مقبلا * بالثغر لما صار جار المصحف

وقال بعضهم من كثر أدبه دام شرفه وان لم يكن حسيبا وعظمت الحاجة اليه وان قل ماله وساد وان كان مجهولا وقيل فضل

الانسان يبين من فضل علمه وأدبه من فضل معاشرته وشرفه من نزاهة نفسه ثم قال المؤلف

واختر صديقك واصطفيه تفاخرا * ان القرين الى المقارن ينسب

أشار الى اتخاذ الصديق والافتخار به لانه باتخاذه له ينسب اليه فينبغي للانسان البحث عن حال من يتخذه صديقا قبل أخذه ليكون على بصيرة قال الشاعر في المعنى

اذا كنت في قوم فعاشر خيارهم

ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتدى

والصديق هو الذي يحزن لحزنك ويفرح لفرحك قال الشاعر في المعنى

ان أخاك الصدق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت شمل نفسه ليجمعك

وقال بعض الحكماء ينبغي للعاقل أن يتخذ صديقا ينبهه على عيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه بل ربما يكون الصديق أعز من الاخ كما قيل لبعضهم ايما تحب أخوك أم صديقك قال أحب أخي اذا كان صديقي والله أعلم (خاتمة) ينبغي للصديق أن يتحمل من صديقه ثلاثا الهفوة والزلة والغضب قال الاحنف بن قيس وقد قيل من رام سليما من هفوة والتمس بريئا من كبوة فقد رام من الدهر خلاف ما هو عليه وقال بعض الحكماء لا صديق لمن أراد صديقا لا عيب فيه وقال بعضهم قد يهفو الصديق ونيته سليمة ولله در بعضهم حيث قال

أقل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمة
ولا تسرع بمعتبة اليه * فقد يهفو ونيته سليمة

ثم قال المؤلف رحمه الله

واحذر مواخاة الدنئ لانها * تعدى كما يعدى السليم الاجرب

أشار الى اجتناب مواخاة الدنئ وهو الخسيس الخبيث البطن والفرج كما فى القاموس وقوله لانها تعدى كما يعدى السليم الاجرب أى لان مواخاة الدنئ تعدى مجازا كما يعدى الاجرب السليم حقيقة وكذا ينبغى لك اجتناب مواخاة اللئيم ومصاحبته وان لم ينص عليه بل يكون أولى كما قال الغزالى رحمه الله تعالى

احذر مصاحبة اللئيم فانه * يردى عليك بطبعه المعكوسا
واختر مصاحبة الكريم فانه * فطن كريم طبعه مأنوسا
فاعمل بتحذيرى واغرائى تجد * قولى صحيحا ثابتا ونفيسا

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

ودع الكذوب ولا يكن لك صاحبا
ان الكذوب لبئس خلا يصحب

قوله ودع الكذوب أى الكذاب وهو من يخبر بالشئ على خلاف ما هو عليه ففيه اشارة الى اجتنابه لانه لا يؤمن ضرره ولان الكذب جامع كل شر واصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه لانه ينتج النميمة والنميمة تنتج البغضاء والبغضاء تؤل الى العداوة وليس مع العداوة أمن ولا راحة وفى الحديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد

أخلف واذا اؤتمن خان وقال الشاعر فى ذم الكذوب

حسب الكذوب من المها * نة بعض ما يحكى عليه

ومتى اشيعت كذبة * من غيره نسبت اليه

(خاتمة) قد يجوز الكذب فى ستة مواضع اوضحناها فى الشرح الكبير (منها) فى الجهاد لتفريق الكفار (ومنها) ما يتجاهر به الفاسق (ومنها) دفع الظالم عن مال له أو لغيره أو عرض كذلك (ومنها) فى ستر معصية منه أو من غيره (ومنها) اصلاح ذات البين (ومنها) جبر خاطر امرأة أو ولد وقوله لبئس خلا بصحب لان الخليل هو الصديق وهو مأخوذ من الخلة بضم الخاء وهى الصداقة انتهى ثم قال المؤلف

(وذر الحقود ولو صفا لك مرة * وابعده عن رؤياك لا يستجلب)

أشار الى اجتناب الحقود مطلقا وان صفا فى بعض الاحيان لان صفاه على خلاف الاصل فينبغى لك اجتنابه لعدم كمال ايمانه أو عدمه بالكلية فقد ورد فى الحديث المؤمن ليس بحقود ولا يجاب لك ما يكدر خاطرك خصوصا فى زماننا هذا فعليك بالعزلة فقد كان صلى الله عليه وسلم عند تقلب الاحوال واختلاف الرجال وكثرة القيل والقال يأمر بالاعتزال وملازمة البيوت ثم أشار المؤلف الى ذمه أيضا فقال

(ان الحقود وان تقادم عهده * فالحقد باق فى الصدور مغيب)

قوله ان الحقود وان تقادم عهده أى بعد فالحقد أى وهو أثر الغضب لانه أصله وبيان ذلك ان الغضب اذا لزم وكظمه لعجزه

عن التشفي حالا رجع الى الباطن واحتقن فيه صار حقدا وحينئذ يلزم قلبه اشتغاله وبغضه ومن ثمراته أن يحسده ويتمنى زوال نعمته ويفرح بمصيبته ويطلق لسانه بما لا يحل فالحسد من نتائجه كما علم انتهى (واعلم) أن الغضب والتكبر قد يورثان سوء الخاتمة فقد ورد أن ابليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا من خلقه أذنبت وأنا أريد أن أتوب فاشفع لي عند ربك ليتوب علي فقال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال قد أمرني أن تسجد لقبر آدم عليه السلام ليتوب عليك فاستكبر وغضب وقال لم أسجد له حيا اسجد له ميتا فانظر عاقبة الغضب كيف أورثته طردا وبعدا من رحمته تعالى وقوله في الصدور مغيب أي لا يطلع عليه أحد وعلامته صفار الوجه لا لعلة فيجب على صاحبه معالجة اخراجه من قلبه ويطهر باطنه وقال بعضهم الكريم لا يحمل حقدا كما قال الشاعر

ولا أحمل الحقد القبيح على المدا
وليس كريم القوم من يحمل الحقدا

(خاتمة) فيها أمر مهم وهو (فان قلت) هل يزول الحقد بالموت اولا وعلى فرض زواله يكون بأي وقت والجواب ان من مات على حسد أو بغض أو عداوة ولم يتب من ذلك فانه يستمر متلبسا به بعد الموت ولا يزول ذلك عنه الا عند الدخول للجنة وبذلك أفتى النجم الغيطي حين سئل ما قولكم فيما وقع بين الناس من حظوظ الانفس

والتشاحن والتشاجر والتباغض فى دار الدنيا ويموت أحدهم ويدفن فى قبره ويعيش عدوه بعده ويشمت فى موته فهل الميت الذى فى قبره يتألم ويتضرر بحياة عدوه بعده وشماتته فيه والا فبمجرد طلوع روحه يذهب عنه التحاسد والتباغض وحظوظ الانفس التى كانت بينه وبين الناس وينتقل من دار الدنيا الى دار الآخرة التى ليس فيها تحاسد ولا تباغض (فأجاب) يموت الانسان على ما عاش عليه ويبعث على ذلك فاذا كان قلبه منطويا على حسد أو بغض أو عداوة ولم يتب من ذلك ولم يطهر قلبه منه ومات مصرا عليه فانه يستمر متلبسا به ولا يزول عنه ذلك الا عند الدخول للجنة يدل على ذلك الدليل من القرآن والاحاديث والآثار ولا مانع من تضرر الميت من شماتة عدوه فيه بالموت وايذائه له بعده لان الموتى تعرض عليهم أحوال الاحياء كما ورد فى ذلك وقد نبه المؤلف على حفظ اللسان بقوله

واحفظ لسانك واحترز من لفظه * فالمرء يسلم باللسان ويعطب

أشار الى التحذير من اللسان لانه اعصى أعضاء الانسان فيه ينجو وبه يهلك فقد قال الامام على رضى الله عنه المرء مخبوء تحت طى لسانه ولان معظم الآفات دائرة عليه كما أشار الى ذلك السبكى فى تائيته بقوله

لسانى فى لغو الفواحش موغل * بمين ونم واستباب وغيبة

ولقد جمع فى هذا البيت معظم افات اللسان وهى دائرة على ألسنة كثير من الناس الآن وقد قال الفضيل لاحج ولا رباط ولا جهاد

اشد

أشد من حبس اللسان ثم قال المؤلف

وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن * بزيادة فى كل نادتخطب

قوله وزن الكلام أى زنه بميزان الشرع قبل أن تنطق بما لا فائدة فيه فقد قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وقال بعض العارفين من عد كلامه من عمله قل سقطه وقد أشار المؤلف الى كتم السر بقوله

والسر فا كتمه ولا تنطق به * ان الزجاجة كسرها لا يشعب

قوله والسر فا كتمه أى وجوبا ان ترتب عليه مفسدة لئلا يرجع عليك بالنكال وقد قال بعضهم فى المعنى

صن السر عن كل مستصحب * وحاذر فما الرأى الا الحذر

أسيرك سرك ان صنته * وأنت أسير له ان ظهر

(وقال بعضهم)

وصاحب من صحبت بعزم حرص * ولا تودعه اسرار الفؤاد

فبعض الناس ظاهره بياض * وباطنه فاحلك من سواد

وقوله ان الزجاجة كسرها لا يشعب أى ان القزازة كسرها لا يجبر بخياطة ونحوها كما قال الشاعر

احرص على حفظ القلوب من الاسى

فصفاؤها بعد التكدر يعسر

ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ثم أشار المؤلف الى التحذر من مكائد النساء بقوله

وتوق من غدر النساء خيانة * فجميعهن مكائد لك تنصب

لا تأمن الانثى زمانك كله * يوما ولو حلفت يمينا تكذب

تغرى بطيب حديثها وكلامها

واذا سطت فهى الصقيل الاشطب

أشار فى هذه الابيات الثلاثة الى ان الشخص ينبغى له أن يحترس من غدر النساء لان الله وصف كيدهن بالعظم ولانه ورد فى الحديث النساء حبائل الشيطان وقال بعض العلماء فى المعنى

رأيت الهم فى الدنيا كثيرا * واكثره ما يكون من النساء

فلا تأمن زمانك قط أنثى * ولو نزلت اليك من السماء

وقوله فجميعهن مكائد لك تنصب خصوصا نساء اهل هذا الزمن التى غلب عليهن اللؤم وقلة الحياء وقوله لا تأمن الانثى جمع الانثى اناث وقد قيل أنث بضمتين فانه جمع اناث قاله فى المختار وقوله ولو حلف يمينا تكذب لشؤمها ولؤمها وخبث ما انطوت عليه وقوله تغرى بطيب حديثها أى تغر من الغرور لا من الاغرار من تخاطبه فلا تغتر بها لانها لا تدوم على حالة واحدة ولا تبقى على حليل بل تتغير من حال الى حال وتنتقل من حليل الى غيره وتتلون بألوان شتى فتارة تصل وتارة تقطع وتارة ترضى وتارة تغضب وتارة تجفو وتارة تتودد وتارة ترغب فى حليل وتارة ترغب عنه كما قال بعض الاعراب

شكوت فقالت منك هذا تبرما * بحبى أراح الله قلبك من حبى

فلما كتمت الوجد قالت تعنتا

صبرت وماذا هين من شجى القلب

وادنو فتعصينى فابعد طالبا * رضاها فتعتاد التباعد من ذنبى

فشكواى بثّ ذيها وصبرى يسوءها * وتجزع من بعدى وتنفر من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها
تشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربى

(وقال آخر)

تقيم معاذيرا وتزعم صلاتها * وتطمع امالى بها فالين
وتحلف ايمانا تجود بوصلها * وليس لمخضوب البنان يمين

وقوله وكلامها عطف تفسير وقوله واذا سطت بالسين والطاء المهملتين فهى الصقيل الاشطب أى السيف القاطع وجعلها سيفا استعارة لطيفة كان من عادة العرب انهم اذا رأوا استدعاء من حولهم من القوم فى ليل أو نهار شهروا السيف الصقيل ورقوا به فتظهر لمعته على بعد فيأتون اليه مهتدين بنوره ومؤتمين بهديه (تنبيه) دخل فى عموم كلام المؤلف سائر النساء وقد يخصص العموم بنساء بعض الانبياء والصحابة ومن قيل بنبوتهن فانهن لم يحصل منهن ما حذر منه بل لم يقع من غيرهن من الصالحات فعن عبد الواحد بن زيد قال سألت الله ثلاث ليال ان يريني رفيقى فى الجنة فقيل ياعبد الواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء فقلت وأين هى فقيل لى فى بنى فلان بالكوفة فخرجت الى الكوفة وسألت عنها فقيل لى هى مجنونة ترعى غنيمات فقلت أريد أن أراها فقالوا اخرج الى الجبانة فخرجت فاذا هى قائمة تصلى وبين يديها عكاز وعليها جبة صوف مكتوب عليها الاتباع ولا تشترى واذا الغنم مع الذئاب فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت ارجع يا ابن زيد ليس الموعد ههنا انما

الموعد الآخرة فقلت رحمك الله من أعلمك انى ابن زيد فقالت اما علمت أن الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها عظينى فقالت واعجبا من واعظ يوعظ انه بلغنى انه ما من عبد اعطى من الدنيا شيئا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة ومقته وبدله بعد القرب بعدا وبعد الانس وحشة ثم أنشأت تقول

ياواعظا قام لاحتساب * تزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا * هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا * عيبك أوتبت عن قريب
كان لما قلت ياحبيبى * موضع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمادى * وأنت فى النهى كالمريب

فقلت لها انى أرى هذه الذئاب مع الغنم فلا الغنم تفزع من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فأى شئ هذا فقالت اليك عنى فانى أصلحت ما بينى وبين سيدى فأصلح بين الذئاب والغنم ثم أشار المؤلف الى التحية عند لقاء العدو والتحذر منه بقوله

والق عدوك بالتحية ولتكن * منه زمانك خائفا تترقب
واحذره يوما ان تراه باسما * فالليث يبدو نابه اذ يغضب

قوله والق عدوك وهو من يحزن لفرحك ويفرح لحزنك بالتحية وهى السلام أو ما يشعر بالتعظيم كوضع اليد على الصدر أو الرأس ونحو ذلك أو المدح كما قال الشافعى فى المعنى

عدائى لهم فضل على ومنة * فلا قطع الرحمن عنى الاعاديا

هم عرفونى زلتى فاجتنبتها * وهم نافسونى فارتقيت المعاليا

وقوله ولتكن منه زمانك خائفا تترقب أى تترقبه فى سائر حالاتك لتجتنبه ان لم تقدر على مكافاته فان قدرت عليها فعليك به كما قال بعضهم فى اثناء قصيدة له

يقول لك العقل الذى زين الفتى * اذا لم تكن تقدر عدوك داره

ولاقه بالترحيب والبشر والقرى * وبارك له مادمت تحت اقتداره

وقبل يدا جانى التى لست قادرا * على قطعها وارقب سقوط جداره

(تنبيه) اعلم انه قد تكون العداوة ناشئة عن الحسد فينبغى للانسان الصفح والعفو عما يقع من عدوه تأسيا بما قاله امامنا الشافعى رحمه الله تعالى

ان يحسدونى فانى غير لائمهم

قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات اكثرهم غيظا بما يجدوا

انا الذى يجدونى فى صدورهم * لا ارتقى صدرا منها ولا ارد

وقوله واحذره يوما ان تراه باسما أى لا تغتر به اذا رأيته متبسما وخذ حذرك منه واصحبه بالمكر والخديعة ولا تركن اليه ولا غيره أيضا ممن وثقت به أو ظننت أنه صديقك لانه أشد عداوة لك كما نص عليه صاحب شرح لامية العجم وقوله فالليث بالمثلثة الاسد وبه سمى الرجل وجمعه ليوث والانثى ليثة وجمعها ليات انتهى مصباح وقوله يعدونا به أى يظهره حين غضبه ومثل بالليث دون سائر الحيوانات لان هذه الصفة لا تكون لغيره انتهى ثم أشار المؤلف الى تغيير حال

الصديق وانه يجتنب كما يجتنب العدو بقوله

واذا الصديق رأيته متملقا * فهو العدو حقه يتجنب
لاخير فى ودامرء متملق * حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ عنك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنه بك واثق * واذا توارى عنك فهو العقرب

قوله واذا الصديق رأيته متملقا أى يظهر التواضع وعدم الاعتراض والانتصار لصحة الاقوال والافعال مع البشاشة والتعظيم والاجلال ويبطن خلاف ذلك فاجتنبه وحكم ذلك ان ترتب عليه اعانة على باطل أو تحسين ما قبحه الشرع أو تقبيح ما حسنه الشرع أو غير ذلك من المفاسد يكون حراما وحينئذ ينبغى لك اجتنابه لذلك وقوله فهو العدو وحقه يتجنب أى فى أقواله وأفعاله كما قيل لبعض الحكماء أى الناس أحق ان يتقى قال صديق مخادع لانه فى الحقيقة عدو وقال بعضهم

ثق بالذى تلقاه لونا واحدا * حر الاحكام المودة يربط
ودع الذى متلونا بطباعه * ملعون ذو الوجهين وهو مفرط

وقوله يتلهب أى يشتعل كالنار وقوله يعطيك من طرف اللسان حلاوة أى يتكلم معك بكلام كالحلاوة الرفيعة القدر ويروغ بالراء المهملة أى يميل عنك كما يروغ الثعلب بالمثلثة والعين المهملة حيوان معروف ذكره ثعلبان بضم الثاء وانثاه ثعلبة وقد مثل به دون سائر الحيوانات لشدة مكره وخداعه وحيلته وهو سبع جبان مستضعف ومن حيلته فى طلب رزقه انه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع

قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده انتهى ومن الامثال قالوا اروغ من ثعلب قال الشاعر

كل خليل كنت خاللته * لاترك الله له واضحة

كلهم أروغ من ثعلب * ما أشبه الليلة بالبارحة

وقوله يلقاك أى يواجهك يحلف أى لك انه بك واثق فلا تغتر به وقوله واذا توارى عنك فهو العقرب أى كالعقرب وقد مثل بها لشدة ضررها لانها تقتل الفيل والبعير والافعى وهى دويبة صغيرة معروفة للخاص والعام ثم أشار المؤلف الى أن الشخص اذا ضاق عليه رزقه بمكان أن يرتحل منه بقوله

واذا رأيت الرزق ضاق ببلدة * وخشيت فيها ان يضيق المكسب

فارحل فأرض الله واسعة الفضا * طولا وعرضا شرقها والمغرب

قوله واذا رأيت الرزق ضاق ببلدة أى ومكان وخشيت أى سواء علمت وتحققت أوظننت أوشككت أوتوهمت فانتقل الى بلدة أخرى أومكان آخر وقوله فأرض الله واسعة الفضا أى لتحصيل الرزق ولابد أن يكون ذلك مقرونا بتقوى الله تعالى قال بعضهم رحمه الله

مفتاح رزقك تقوى الله فاتقه * وليس مفتاحه حرصا ولا طمعا

والعلم أجمل ثوب أنت لابسه * فاخترله عملين الدين والورعا

وينبغى لك اذا كرهت منزلا أوكرهك أهله الانتقال منه كما قال ابن الوردى رحمه الله

اذا كرهت منزلا * فدونك التحولا

وان جفاك صاحب * فخذ عليه بدلا
لاتحملن اهانة * من صاحب وان علا
فمن أتى فرحبا * ومن تولى فالى

(ومن كلام سيدى عبد العزيز الدرينى)

اذا ماضاق صدرك من بلاد * ترحل طالبا أرضا سواها
فانك واجد أرضا بأرض * ونفسك لم تجد نفسا سواها
مشينا هاخطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

(وقال بعضهم)

اذا كنت فى أرض يهينك أهلها * ولم تك ذا عز بها فتغرب
* فان رسول الله لم يستقم له * بمكة حال فاستقام بيثرب

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتى * فالنصح أغلى ما يباع ويوهب

قوله فلقد نصحتك أى أيها المخاطب ان قبلت نصيحتى بقبولك لها وعدم اعتراضك على وفيه اشارة الى التعريض لا الالزام وقوله فالنصح أغلى ما يباع ويوهب الواو هنا ليست بمعنى أو وقد تقدم الكلام على النصيحة ثم قال المؤلف

خذها اليك قصيدة منظومة * جاءت كنظم الدر بل هى أعجب
حكم وآداب وجل مواعظ * أمثالها لذوى البصائر تكتب

قوله خذها أى بلا مقابل من فاضل لانها حكم جمع حكمة لذوى البصائر رغما على أنف المعاند كما أشار الى ذلك أبو الحسن الناصرى

يا جاهلا عاب شعرى * نكد قلبى وألم
على نحت القوافى * وما على اذا لم

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى

فاصغ لوعظ قصيدة اولا كها * طود العلوم الشامخات الاهيب

قوله فاصغ أى اجمع حواسك لما دلك عليه طود العلوم أى جبلها وقوله الشامخات أى الشاهقات قال فى المختار الجبال الشوامخ الشواهق وقد شمخ الجبل من باب خضع وشمخ الرجل بأنفه تكبر وقد عنى المؤلف نفسه بقوله

اعنى عليا وابن عم محمد * من خص بالشرف الرفيع الانسب

قوله أعنى عليا أى ابن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم قال هذه القصيدة كما هو صريح لفظه لكن الصحيح كما قال صاحب القاموس انه لم ينظم من الشعر الا بيتين وهما قوله

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم * بذات ودق فلا يعفوا لها أثر

وقيل انها لعلى الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب فهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم بوسائط من جهة الابوة وربما كان هذا هو الصحيح ومن ادعى خلاف ذلك فعليه البيان بنقل صريح وقوله وابن عم محمد من خص بالشرف الرفيع الانسب أى خص صلى الله عليه وسلم بعلو النسب كما هو معلوم لكل أحد جاهلية واسلاما وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك
ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نذار
ابن معدّ بن عدنان انتهى النسب الشريف الذى لا اختلاف فيه ثم
قال المؤلف

يارب صل على النبى وآله * عدّ الخلائق حصرها لا يحسب

قوله يارب الرب اسم من أسماء الله ولا يقال فى غيره الا بالاضافة
وقوله صل الصلاة من الله الرحمة وقوله على النبى بالهمز وتركه
مأخوذ من النبأ وهو الخبر وآله أقاربه وقيل أمته والخلائق
المخلوقات وقد أتى بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لقوله عليه
الصلاة والسلام من صلى علىّ فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
مادام اسمى فى ذلك الكتاب وفى رواية من كتب عنى علما فكتب
معه صلاة علىّ لم يزل فى أجر ما قرئ ذلك الكتاب (تنبيه) طلب
المؤلف من الله تعالى أن يصلى على النبى وحكمة ذلك ان الله طاهر
لا عيب فيه وفى البشر العيب والنقص فكيف يثنى ذو العيب على
طاهر فسأل الله أن يصلى عليه لتكون الصلاة واقعة من رب
طاهر على نبى طاهر (فان قلت) كان ينبغى للمؤلف أن يطلب من
الله أن يسلم عليه أيضا لان افراد الصلاة عن السلام مكروه (قلت)
يحتمل أنه طلب أن يسلم عليه لفظا وفعله كما يحتمل أنه بسمل وحمدل
فى أولها والله أعلم بالصواب * واليه المرجع والمآب * وهذا
آخر ما أوردناه على هذه القصيدة باختصار * وفى هذا القدر كفاية
لاولى الابصار * والله الله فى الاعتذار * وترك الانكار *

فان

فان مثلى لا يعد عليه الخطا والمرجو ممن اطلع على هفوة أن يصلحها
باحسان فانى بالعجز معلوم * ومثلى عن الخطا غير معصوم *
والمصنف عثور والناقد بصير ومأجور * ونعوذ بالله من حاسد
يتبع اذاه * وجاهل يتبع هواه * ومنكر يعرف الحق فيتعداه
والمعلوم ضرورة ان من جهل شيئا عاداه * ولا حول ولا قوة
الا بالله * والحمد لله أولا وآخرا * وظاهرا وباطنا * وصل
اللهم على من لا نبى بعده عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك
كلما ذكرك الذاكرون * وكلما غفل عن ذكره الغافلون *
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

قد تم طبع هذه النسخة اللطيفة الظريفة المنيفة بالمطبعة
الوطنيه * الكائنة بثغر سكندريه * على ذمة
صاحبها المتوكل على ربه المبدى المعيد *
معوض أفندى فريد * ووافى تمام طبعها
يوم الخميس ١٧ جمادى الاولى سنة
١٢٨٨ من هجرة سيد المرسلين
صلى الله عليه وعلى آله
والناسجين على
منواله آمين
آمين
تم تم
تم

BIBLIOTHEK der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft.
Aus GILDEMEISTER'S

ʿAbd al-muʿṭī

De 2559

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-5530/fragment/page=00000076